

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

الرجل الآخر

www.lilias.com/vb3
^ RAYAHEENA ^

المؤلف



د. نيل فاروق

رجل

المتجمل

سلسلة

روايات

بوليسية

لشباب

الرجل الأخير

● ترى ماذا فعل القذافي المصرية بعد

مصرع (أدهم حبرى) ؟ ..؟

● هل يمكن إعداد بديل لـ (رجل

المستحيل) ؟ ..؟

● اقرأ الرواية هذه المرة بتركيز أكبر ،

فسواجهك حتمًا مفاجأة ..

www.lilas.com/vb3

RAYAHEEN



١ - البديل ..

غُلف الظلام تمامًا تلك القاعة الواسعة ، المحاطة بجدران من الزجاج المضاد للرصاص ، في قعر مبنى المخابرات العامة المصرية ، وبدأت لأعين المراقبين خارجها ، وكأنها هي محالة ساكنة صامتة ، على الرغم من لفتهم بوجود رجل يتحرك داخلها بحفة قط حذر ، حتى انتصب فيها فجأة قتال يلبه رجلاً يمسك مسدسه ، مع وميض أشبه بفلاش تصوير سريع ، أعقبه صوت رصاصة مكشوفة ، انطلقت من مسلسل مزود بكاتم للصوت ، اتبع وميضها من مصدرها ، قبل أن يضاف إلى مسامع المراقبين صوت ارتطامها بالقتال ، ثم أعقب ذلك انتصاب قتالين آخرين ، انطلقت رصاصات مسدسهما نحو مصدر الرصاصة الأولى ، إلا أن رصاصتين مكشوفتين أصابتهما من مصدر آخر ، فسقطا بالحقان بزميلهما ، فتمضم مدير المخابرات العامة ، الذي يراقب ما يحدث من الخارج :

— لا بأس ..

اتسم مساعده انتسامة واسعة ، لم يسمح لها الظلام بالظهور على نحو واضح ، وهو يقول :

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نيل فاروق

www.egyptianlib.com/vb3
EENA

— بل هو رائع في الواقع ياسيدي ، لقد اجتاز كل
اختبارات الرماية بنجاح يبلغ سبعة وتسعين في المائة ، بالإضافة
إلى إجادته التامة لمعظم رياضات الدفاع عن النفس ، ولحمس
لغات حية ، و
قاطعته المدير :

— لا بأس .. لا بأس .

ثم ضغط زرًا في مسند مقعده ، فأضيئت الحجرة الزجاجية
المظلمة ، وبدأ داخلها شاب وسيم ، مفتول العضلات ، يرتدي
قميصًا أخضرًا ، على الرغم من برودة الجو في هذا الوقت من
فصل الشتاء ، وترسم على شفتيه ابتسامة وثقة مزهوة ،
لنجاحه في اجتياز الاختبارات حتى نهايتها ، وتطلعت عيناه إلى
مدير المخابرات ، وهو ينهض من مقعده ، ويشير إليه بابتسامة ،
ثم انجبه نحو باب القاعة الزجاجية ، وفتحها وهو يدهن مسدسه
في يده ، ومساعد المدير يقول في حماس :

— إنه أيضًا يجيد قيادة معظم المركبات : البرية والبحرية
والجوية ، ويجيد التنكر على نحو جيد ، و
زفر المدير في أسى ، وهو يقول :
— ولكنه لن يبلغ حتى نصف مهارته هو .

عقد مساعده حاجيه ، وهو يقول في ضيق :
— اصمح لي ياسيدي .. إنني لست بمن يعشقون العيش مع
ذكريات الماضي .

التفت إليه المدير في صمت ، فتابع المساعد في شيء من
العصية :

— عجلة الحياة لن تتوقف ، ومخايرنا تحتاج دومًا إلى رجل
متسحر ، تلك المهئات التي لا تصلح إلا لرجل واحد ، وأنا أعلم
كما يعلم الآخرون أننا كنا نملك فيما مضى أفضل رجل في العالم ،
في هذا المجال ، ولكنه بقي مصرعه في (المكسيك) منذ ما يزيد
على العام . وليس من المتطلى أن يبقى مكانه شاغرا ، فجرد أنا
نعجز عن نسيان عبقريته وموهبته ومهاراته .
ثم لَّوح بيده تجاه الشاب الوسيم ، الذي وقف صامعا ،
واستطرد :

— ها هو ذا البديل .. شاب يمتلك مهارات مذهلة ،
بالنسبة لعمره ، على الرغم من أنه لم يحصل على نفس تلك
الفرصة ، التي حصل عليها المعجزة السابق ، بأن يبدأ مرانته في
الثالثة من عمره .. ها هو ذا شاب يفوق أقرانه ، ويستحق عن
جدارة لقب (ن - ٢) .

زفر المدير مرة أخرى ، وألقى نظرة طويلة على الشاب
الوسيم ، وهو يقول :

— أعلم ذلك .. ولكنني لا أستطيع نسيان (أدهم
صبرى) في سهرة .. ولو أنك عملت معه ، مثلما فعلت أنا ،
ما احتفظ شعورك كثيرًا .

ثم قال للشاب :

— تقدم يا هنى .

أبته الشاب إليه في لحظات قوية والفة ، وقال واجتماعه

لم يفارق شفاه بعد :

— الرائد (حسام) في خدمتك يا سيدي .

أومأ المدير برأسه ، على نحو بدا وكأنه لا يفتنى شيئًا ، ثم

قال :

— أنت الآن ثاني رجل يحمل حروف (النون) في ثكوده

السرّي ، بالنسبة لإدارتنا ، بعد رحيل (ن — ١) .. أنت عند

هذه اللحظة تحمل لقب (ن — ٢) .

وزفر مرة ثالثة ، قبل أن يضيف :

— أنت بديل (رجل المستحيل) .

أوقفت (منى توفيق) سيارتها الصغيرة في المكان المخصص
لها ، في فناء مبنى اخبارات العامة ، وهبطت منها في ببطء ، وهي
ترتدى معطف مطر أبيض ، وبدا ذلك الحزن المرسم على وجهها
وكأنها انخر مع ملاحظتها ، فصار جزءًا من تكوينها ، وهي تدرس
يديها الرقيقتين في جيب معطفها ، وتوجه إلى المبنى ، ثم تنحرف
داخله غير عثر عثر طويل ، فادها إلى حجرة تحمل اسم : « حجرة
المعلومات الخاصة » ، ودقت بابها في هدوء ، ثم دلفت الباب ،
ودلفت إلى الحجرة ، وقالت للرجل الجالس على المكتب المواجه
للباب ، أمام جهاز كمبيوتر :

— صباح الخير يا (صبحي) .

قال الرجل دون أن يرفع عينه إليها ، وكأنها اعتاد الأمر :

— صباح الخير يا سيادة الرائد .. تفعلني .

جلست على المقعد المجاور له ، وحملت عينها مزيجًا من

الأنهفة والقلق والترقب والحوف ، وهي تسأله :

— هل من جديد ؟

رفع عينه إليها في ببطء ، وارسم فيما شيء من الشفقة

والعطف ، وهو يقول :

— أنت تعلمين ذلك حقًا ؟

لَوَحَّتْ بِكَفِّهَا ، قَائِلَةً فِي تَوَثُّرِ :

— وَلَمْ لَا ؟

تَهْتَدُ قَائِلًا :

— أَعْلِمُ أَنَّ فَقْدَانِ مِنْ نَحْبِ أَمْرِ عَسِيرٍ شَاقٍ بِأَسِيدِي ،
وَلَكِنَّهُ وَاقِعٌ عَلَى الرِّغْمِ مِنْ مَرَارَتِهِ ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَقْبَلَهُ صَاحِرِينَ .
اتَّقِ الدَّمْعَ فِي عَيْنَيْهَا . وَهِيَ تَقُولُ بِصَوْتٍ مَتَحَشِّرٍ :

— مَنْ يَدْرِي ؟ .. رُبَّمَا ..

فَاطِمَةُ مُشْفَقًا :

— رُبَّمَا مَاذَا بِأَسِيَادَةِ الرَّائِدِ .. لَقَدْ لَقِيَ سِيَادَةَ الْمَقْدَمِ

(أَدْهَمُ صَبْرِي) مَصْرَعَهُ مِنْذَ عَامٍ وَثَلَاثَةِ شُهُورٍ كَامِلَةٍ ، فِي
الْانْفِجَارِ مَرْوَعٍ ، لَا يُعْقَلُ أَنْ تَنْجُو مِنْهُ حَشْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَقَدْ
التَّقَطَ رَجَالُنَا صُورَةَ لِلْجَبَلِ الَّذِي كَانَ دَاخِلَهُ ، وَقَدْ تَحَوَّلَ بَعْدَ
الْانْفِجَارِ إِلَى كُوْمَةِ مِنَ التُّرَابِ ، فَكَيْفَ يَنْجُو رَجُلٌ مِنْ هَذَا بَاطِلٍ
عَلَيْكَ (٥) ؟

تُفَرِّقُ الدَّمْعَ فِي عَيْنَيْهَا ، وَاتَّخَذَتْ دَمْعَةً سَاحِئَةً تَلْهَبُ
وَجَنَّتَا ، وَهِيَ تَعْمَلُ :

— إِنَّكَ لَا تَعْرِفُ (أَدْهَمُ) .

(٥) رَاجِعْ قِصَّةَ (وَكْرُ الْإِرْهَابِ) .. الْمُنَافَرَةُ رَقْمُ (٨٠) .

هَفَفَ :

— كَلْنَا كُنَّا نَعْرِفُهُ ، وَنَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ بِالرَّجُلِ الْعَادِي ،
وَلَكِنَّهُ مَجْرُودُ بَشَرٍ ، وَكُلُّ الْبَشَرِ يَجُوتُونَ .. طَالَ الزَّمَنُ أَمْ قَصُرَ ..
كَلْهَمَ .

اتَّهَمَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنَيْهَا فِي غِزَارَةٍ ، وَهِيَ تَقُولُ :

— مِنَ الصَّعْبِ أَنْ أُصَدِّقَ هَذَا أَوْ أُسْتَوْعِبَهُ .. لَقَدْ وَاجَهْتُ
مَعَ (أَدْهَمِ) أَهْوَالًا ، كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يُلْقَى مَصْرَعُهُ فِي كُلِّ
مِنْهَا أَلْفَ مَرَّةٍ ، وَلَكِنَّهُ نَحَا ، وَ.....
فَاطِمَةُ :

— وَلِكُلِّ شَيْءٍ نِهَاجَةٌ .

ازْدَادَ اتِّهَامُ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنَيْهَا ، فَأُضَافَ فِي الْحَقُوتِ :

— إِنَّهَا سِنَّةُ الْكَوْنِ .

تَهَيَّأَتْ فِي بَطْنِهَا ، وَقَدْ اكْتَسَى وَجْهَهَا كُلَّهُ بِالدَّمْعِ ، وَهِيَ
تَسْتَمُ فِي شُحُوبٍ :

— نَعَمْ .. إِنَّهَا سِنَّةُ الْكَوْنِ .

تَابِعَهَا بِعَيْنِهِ فِي إِشْفَاقٍ ، وَهِيَ تَغَادِرُ مَكْتَبَهُ مَتَرَلَحَةً
كَالْتَكْرَى ، وَهَزُّ رَأْسِهِ وَهِيَ تَغْلِقُ الْبَابَ خَلْفَهَا ، وَقَالَ فِي
عَطْفٍ :

— ياله من حُب !

أما هي ، فقد بدلت أقصى جهدها ، تمنح نفسها من الانحراط في بكاء ونحيب ، وهي تعبر أروقة الإدارة ، إلا أنها عجزت تمامًا عن منع ذلك السيل من الدموع ، الذي سال على وجنتها ، فأسرعت تطرق بابًا ، وتفتحه قبل أن يدعوها صاحبه للدخول ، ثم تدلف إلى الحجرة ، وتلق الباب خلفها في قوة ، قبل أن تلقى جسدها على أقرب مقعد صادفها ، مع هتاف (قدرى) ، صاحب الحجرة :

— ماذا حدث ؟

لأوحت بكفها ، وهي تشيح بوجهها ، قائلة :

— لا عليك .. لم يحدث شيء .

التقرب منها في عطف ، ورثت على كفها في حنان ،

هامسًا :

— هل تذكره ؟

نخمت باكية :

— إنني لم أنسه بعد .

رثت على كفها مرة أخرى ، ومنع دموعه في صعوبة ، وهو

يجلس إلى جوارها ، قائلًا :

— ومن يمكن أن يساه ؟ لقد كان أعظم رجل عرفته في

حياتي كلها .. إننا لن نعوجه أبدًا .

قالت وهي تمسح دموعها :

— لست أدري لماذا يصرف قلبك على أنه ما يزال حيًا يروني ؟

لقب قلبه ، قائلًا في نفس :

— كيف ؟ .. وأين ؟ .. لقد تشبث رجائنا بهذا الاحتمال كما

تطمئن ، وانتشروا يجمعون المعلومات ، بعد انفجار وكبر

(بانشو ميلازر) ، ولكن حقيقة واحدة لم تلبس إلى بقاء

(أدهم) على قيد الحياة .. صدقيني إن حزني يضارع حزنك ،

ولكنني أعلم أنه ما من وسيلة لمعادلة القدر .. لقد لقيني (أدهم

صبري) مصرعه ، بعد حياة حافلة ، وبنهاية مشرفة ، ومن

الضروري أن نقبل هذا ، على الرغم من حزننا وآلامنا ..

قاطعه صوت يقول في هدوء :

— أليس كذلك ؟

أدار الاثنان عيونهما إلى الباب ، حيث يصدر الصوت ،

وبدا فما الرائد (حسان) بقامته المشوقة ، وملاحه

الرسيمة ، فغمضت (منى) في عدوالية واضحة :

— ماذا تريد ؟

دلف إلى الحجرة في هدوء ، وأغلق بابها خلفه في رفق ،
ثم يذهب مقعداً ، وجلس في مواجهة (منى) ثامناً ، وتطلع إلى
عينيها مباشرة ، وهو يقول :

— أريدك أنت .

قالت في عصبية :

— أى قول سخيف هذا ؟

ابسم في هدوء ، وكأنما يقدر مشاعرها ، وقال :

— الخبي أنى كنت أبحث عنك .. لقد أخبروني أنك كنت

تسرين في الممر باكية ، ثم دلفت فجأة إلى حجرة عزيزنا

(قدرى) ، فأبيت لأطمئن عليك .

قالت متحركة :

— شكراً لك .

لزم (قدرى) الصمت ثامناً ، واكتفى بمراقبتها ، في حين

تطلع (حسام) إلى عيني (منى) لحظات في صمت ، قبل أن

يسألها في هدوء :

— لماذا تكرهينى يا (منى) ؟

هضت :

— أكرهك ؟! ما الذى دفع تلك الفكرة الحمقاء في

راسك ؟

أجابها في هدوء :

— أنت .. أسلوبك العدواني في التعامل معى .. عصبيتك

الزائدة كلما التقينا أو تحدثنا .. أعود هذا إلى أننى بديله ؟

عقدت حاجبيها ، قائلة في جدّة :

— بديل من ؟

أجابها بنفس الهدوء :

— بديل (أدهم صبرى) .. بديل (رجل المنحيل) ..

هضت في ثورة :

— بديله ؟! أنت وإهم لو تصوّرت هذا .. أنا وحدى

أعلم من هو (أدهم صبرى) .. أنا وحدى رأيت كيف يعمل ،

وكيف يسخر من الخطر والموت .. اسمع يا رجل .. لقد كان

(أدهم صبرى) قلّة .. معجزة .. شيء لا يتكرر أبداً في الجيل

الواحد .

ابسم وهو يقول :

— ومن أنكر هذا ؟

ثم مال نحوها ، مستطرداً :

— ولكنه لم يقد يمتد إلى هذه الحياة ، ولست من هواة

عبادة الأصنام .. لقد مات (أدهم) يا (منى) .. مات ولن

يعود إلى عالمنا مرة أخرى .. أفقهين ؟

انحدرت دموعها مرة أخرى ، وهي تنف :
— لا .. لا تقل هذا .

أمسك بمعصمها بقوة في قوة ، فأتلا في حزم :
— لا غارل بين قوله أو كتابه .. إنها الحقيقة يا (منى) ..
الحقيقة التي ترضين الاعتراف بها ..
غمغم (قدرى) في حزن :

— إنه على حق .
استدارت (منى) إليه في جدّة ، وهتفت مستكرة :
— حتى أنت !!

قلّب كفيه ، فأتلا في مرارة :
— ومن يملك لدى القدر ؟
حدقت في وجهه الحزين لحظة ، ثم التفت إلى (حسام) ،
وقالت وهي تجذب بمعصمها من قبضته :
— حسنا .. هالاً تركت معصمى ؟

استجاب لمطلبها في بساطة ، وظل يتطلع إلى وجهها ، وهو
يقول هامسا :

— أتعلمين أنك غائبة حقاً ؟
رمقته بنظرة استكثار ، وهي تقول ساعطة :

— ماذا تقول ؟

أجابها مبتسماً :

— ألول إنك جميلة حقاً ، ولكنك تدفين جمالك هذا خلف
ذلك القناع الكبير ، حتى ليكاد الناظر إليك يلعن في تقدير
عمرك الحقيقي ، ويضيف إليه عشر سنوات كاملة .
قالت في عصبية :

— اسمع يا (حسام) .. ماذا تريد منى بالضبط ؟
أجابها وابسامته تصع :

— أريد أن أفعل ما أم يفعله (رجل المستحيل) .
وملأت ابسامته وجهه كله ، وهو يضيف :
— أن أتزوجك .



٢ — معجزة ..

مضت دقيقة كاملة ، و (قدرى) و (منى) يحدقان في وجه (حسام) ، وفي ابتسامته التي تملأ وجهه كله ، قبل أن تهبط (منى) مستكرة :

— تزوجنى أنا ؟

ضحك لالكا :

— بالتأكيد .. إننى لن أتزوج (قدرى) ، ولا يوجد سواكما معى هنا في الحجرة ، لأوجه إليه حديثى .

مضت لحظة أخرى من الصمت ، قبل أن تنفجر (منى) في غضب مكررة :

— أتريد أن تزوجنى أنا ؟

هز كفيه ، وقال :

— ولم لا ؟ .. إننا مظاريبان معزاً ، وأنا أجده فاة مثالية ،

ثم إننى قد اجتزت الاختبارات كلها بنجاح ، وأصبحت أحمل لقب (ن — ٢) .

مضت مستكرة :



مضت دقيقة كاملة ، و (قدرى) و (منى) يحدقان في وجه (حسام) ، وفي ابتسامته التي تملأ وجهه كله ..

ثم مالت هي نحوه ، قائلة في عصية .

— أنظرتي أحبت (أدهم صبرى) ؛ لأنه كان يحمل لقبه

(ن — ٩) ؟

قال مبسمًا :

— ليس من أجل القلب بالتاكيد ، ولكن للأسباب التي

منعته إتياء .

هضت :

— عطفًا .. إنني لم أحب (أدهم صبرى) لأنه كان قزًا

أو صديقًا ، أو لأنه كان يهد عدة مهارات وقدرات ، أو

يصعد عدة لغات لقد أحبت (أدهم) لأسباب لن تفهمها

أبدا .

قال في هدوء :

— اشرحها لي .

ارتبكت بعض الشيء ، وهي تقول :

— إن (أدهم) لم يكن .. لم يكن مجرد رجل مخايرات

مدهش ، يفوق كل المراته في هذا المجال فحسب ، بل كان إنسانًا

له قلب من ذهب كان يتحسس جراحك بلمسات

حانية ، بنفس اليد التي تحطم قبضتها العملاقة .. كان يمسحك

بأجسامه الأمل والحب ، بنفس القدر الذي يمنح بها أعداءه

الغضب والخوف . إن (أدهم) لم يكن رجلًا عاديًا .. لقد

كان فارسًا ، يجمع بين كل الصفات الجميلة في الدنيا .. كان

يحب (مصر) ، بقدر ما يكره أعداءها كان لا يقتل

إلا دفاعًا عن نفسه ، وعندما تحتم الأمور ذلك بلا بدال . كان

يجمع كل المتناقضات في آن واحد .. يكره ويحب يصرب

ويحتر . كان رجلًا في زمن لئس فيه الرجال .

قال في هدوء :

— ومن أدراك أنى لست كذلك ؟

نظمت إليه لحظات في حيرة ، معتمدة .

— أنت ؟

بعض قليلًا :

— نعم أنا . اسمي يا (منى) . إنني أطلب منك

الزواج رسميًّا ، أمانم صديقًا (قندى) ، وأعلن لك أنني لست

أغار من (أدهم صبرى) ، فلا أحد يغار من رجل ميت ..

فكّرت في الأمر ، وسأنتظر .

قال كلماته وغادر الخبيرة في هدوء ، وأغلق بابها خلفه ،

فأدارت (منى) عينيها إلى (قندى) وهي تقول مستكة

— يتروّجنى أنا ١٧

تطلع إليها (قدرى) لحظة مشغفاً ، ثم خفض عيـه ، قائلاً .

— ولم لا ؟

هتعت

— لم لا ١٩ سأعرك أنا لم لا يا (قدرى) لأنى

مارلت أحب (أدهم صبرى) ، ولى أتروح سواء هل

فهت ؟

وبهتت من مقعدها فى حركة حاذة ، وجذبت الباب فى

قوة . مستطردة

— ولتذهب كل نظريات الحياة إلى الجحيم

وأغلقت الباب خلفها فى قوة ، ورفع (قدرى) عيـه إلى

الباب الملقى ، وصيح اعيزاً لدمعة حية أن تفر من مقلها ،

ولسبل على وجهه ، وهو يهمهم

— ومن يساه يا بيتى ؟ من يساه ؟

وتفجرت دموعه بلا انقطاع

لم لذر (منى) كم عملت ، ولا كيف عملت فى ذلك اليوم ،

ولكنها عندما ارتدت معطف المطر الخاص بها ، وهتت

بالانصراف ، كانت الحال التجارية قد أغلقت أبوابها ، وكانت

الشوارع قد حلت من المارة تقريباً ، فانجهت هى نحو سيارتها ،

وحاولت إدارة محركها ، إلا أن السيارة لم تستجب مطلقاً ،

فغمممت هى فى حلق

— ماذا أصاب هذه السيارة اللعينة ١٥

فجلت ، باعثها صوت (حسام) ، وهو يحنى عند نافذة

السيارة ، قائلاً :

— ربما فرغت بطارياتها ، فنقد نسيب جنودها مضياء مد

الصباح

التفتت إليه فى حلق ، وهى تقول :

— ولم لم تنهى إلى ذلك فى الصباح ؟

ابتسم قائلاً .

— لقد نسي

جدبت مفتاح السيارة فى حدة ، وألفته فى جيها ، وهى

تعادرها قائلة فى عصبية .

— لا بنى سأبحث عن واحدة من سيارات الأجرة

أخرج معاتج سيارته من جيـه ، وهو يقول مبتسماً

— يمكنى أن أوصلك ومجاناً

قالت في حدة وحرم :

— لا

كانت تتوقع منه إصراراً ، إلا أنه اكتفى ببركته ، قاللاً .

— كما يملؤ لك

ثم اتجه إلى سيارته ، وانطلق بها ، ملوّحاً بيده ، هاتفاً

— إلى القد .

أخفها أن يتركها وحدها هكذا ، وسط المطر ، إلا أنها لم

تلبث أن غففت في صرامة .

— ولو

وشادرت المني على قدميها ، ودنت كفها في حمى

معطفها ، وراحت تدير تحت الزداد صامدة .

وتذكرت (أدهم) .

إنها دوماً تتذكره .

لم تنس أبداً .

لم تفارق صورته رأسها لحظة واحدة ، منذ انفجرت به وكر

(بالشو) منذ عام وربع العام

ومن قلبها انحدرت دمة ..

لقد كانت تحبه حقاً .

تحبه من أعماق أحشائ روحها

وفي تلك اللحظة ، شعرت بدم هائل لأنها لم تتزوج ،

وراح تلوم نفسها على رخصها غير المنطقي له ، على الرطم

من حبها الشديد .

ووجدت نفسها تغمم باكياً

— آه . لو تعود !!

احطت دموعها بقطرات المطر ، واتصل شعرها المتبل

بجبهتها ورأسها ، وقد انشغلت بأفكارها وذكراتها ، فراحت

تقطع الطريق سائرة على غير هدى ، حتى أبقتها بضة صوت

أحش يقول .

— إلى أين يا طائتي ؟

انصبت فجأة إلى مئة شهاب يعرضون طريقها ، ووجوههم

تحمل ابتسامة خبيثة ، فقالت دون تحرف .

— ماذا تريد يا قبي ؟

أخرج من جيبه قلادة ذات نعل حاذق ، وراح يحركها أمام

وجوها ، وهو يقول بملك اللهجة الخبيثة القيمة :

— خمنى ماذا يريد ؟

فجأة ، تحول كل الغضب المكبوت في قلبها تجاه هؤلاء

الشيان

وفجأة انفجر ..

ولاريب أن ذلك الشاب سبّط يمتشي الفتيات طيلة
عمره ، بعد أن تحرّكت قبضة (منى) فجأة ، يكل الغضب
الراقد في أعماقها ، وغاصت في معدته كالقنبلة ، قبل أن تمسك
قبضتها الأخرى بمعصمه ، وتلويح في حركة مباغتة ، فحبره على
إسقاط فُديته ، ثم ترفع قبضتها الأولى ، فتبشّم بها ستين من
أسنانه الأمامية ، في لكمة عذيفة

وتخطف الشبان الخمسة الآخرون ، على الرغم من دهشهم
وغرلهم لما أصاب رطلهم ، وهتفت بهم (منى)
— أنتشدون القتال ؟.. هنا أروني قوتكم في مواجهة
هذه وحيدة .

تردّد الشبان الخمسة ، ما بين الخوف والغضب ، ثم تهرّ
كل منهم مُدبّعة في حركة حباله ، وراحوا يلتصقون حول
(منى) ..

وهنا فقط أدركت (منى) أنها لن تريح للمركة .
لن يمكنها أبدا الفوز على خمسة شبان مسلحين بمفردها ..
وتراجعت في قولها ..
وفجأة ، برز من وسط الظلام شبح محشوق القوام ، انقضّ
على الشبان الخمسة كالصاعقة ..

وقبل أن يدرك الشبان الخمسة ما حدث ، كان قد أحدهم
قد عظم بكمّة كالقنبلة ، وتشتب كل أسنان الناب بأخرى
ساحقة ، وكان الثالث يتلوى من مطرقة حديدية غاصت في
معدته ، والرابع عنق فاقد الوعي ، وقد استحال أنفه إلى كومة
من اللحم المفري ، في حين نطح الخامس في أن يشهر مُدبّعة ،
ولكن مهاجمه أطاح بالمُدبّعة بلكمة عذيفة ، ثم رفع قدمه ليوكل
وجه الشاب ركنة انفجرت بدوي مكسوم ، قبل أن يسقط
الشاب الأخير أرضا .

وخفق قلب (منى) في قوة ، وهي تحاول اختراق حجب
الظلام ، لتبرّ وجه مُقدّدها ، وهي تعقم
— (حمام) ؟! أهوانت ؟! أهوانت يا (حمام) ؟
ارتجف قلبها بين صلوغها ، وانسعت عيناها في دهول .
عندما ألتها صوت لم تسمعه منذ عام وربع العام ، يقول في
حدا
— بل هو أنا يا (منى) .

ول نفس اللحظة ، اتسع البرق في السماء ، وسقط وميضه
على وجه مُقدّدها ، فشغقت (منى) في قوة ، وهتفت :
— مستحيل !

ثم سقطت فاقدة الوعي بين ذراعيه
بين ذراعي (أدهم صري)

وفجأة انفجر ..

ولاريب أن ذلك الشاب سبّط يمتشي الفتيات طيلة
عمره ، بعد أن تحرّكت قبضة (منى) فجأة ، يكل الغضب
الراقد في أعماقها ، وغاصت في معدته كالقنبلة ، قبل أن تمسك
قبضتها الأخرى بمعصمه ، وتلويح في حركة مباغتة ، فحبره على
إسقاط فُديته ، ثم ترفع قبضتها الأولى ، فتبشّم بها ستين من
أسنانه الأمامية ، في لكمة عذيفة

وتخطف الشبان الخمسة الآخرون ، على الرغم من دهشتهم
وغرلهم لما أصاب رطلهم ، وهتفت بهم (منى)
— أنتشدون القتال ؟.. هنا أروني قوتكم في مواجهة
لهذا وحيدة .

تردّد الشبان الخمسة ، ما بين الخوف والغضب ، ثم تنهّر
كل منهم مُدبّعة في حركة حياكة ، وراحوا يلتصقون حول
(منى) ..

وهنا فقط أدركت (منى) أنها لن تريح للمركة .
لن يمكنها أبدا الفوز على خمسة شبان مسلحين بمفردها ..
وتراجعت في قولر ..
وفجأة ، برز من وسط الظلام شبح محشوق القوام ، انقضّ
على الشبان الخمسة كالصاعقة ..

وقبل أن يدرك الشبان الخمسة ما حدث ، كان قد أحدهم
قد عظم بكمّة كالقنبلة ، وتشتب كل أسنان الناب بأخرى
ساحقة ، وكان الثالث يتلوى من مطرقة حديدية غاصت في
معدته ، والرابع عنق فاقد الوعي ، وقد استحال أنفه إلى كومة
من اللحم المقرى ، في حين منح الخامس في أن يشهر مُدبّعة ،
ولكن مهاجمه أطاح بالمُدبّعة بلكمة عذيفة ، ثم رفع قدمه ليوكل
وجه الشاب ركنة انفجرت بدوى مكسوم ، قبل أن يسقط
الشباب الأخير أرضا .

وخفق قلب (منى) في قوة ، وهي تحاول اختراق حجب
الظلام ، لتبرّ وجه مُقدّدها ، وهي تعقم
— (حمام) ؟! أهوانت ؟! أهوانت يا (حمام) ؟
ارتجف قلبها بين صلوغها ، وانسعت عيناها في دهول .
عندما ألتها صوت لم تسمعه منذ عام وربع العام ، يقول في
حان
— بل هو أنا يا (منى) .

ول نفس اللحظة ، اتسع البرق في السماء ، وسقط وميضه
على وجه مُقدّدها ، فشبهت (منى) في قوة ، وهتفت :
— مستحيل !!

ثم سقطت فاقدة الوعي بين ذراعيه
بين ذراعي (أدهم صري)

٣ — عودة البطل ..

فراغ وهيب تمتد إلى مالا نهاية .

و (منى) تملو ..

أقدامها ثقيلة ..

سافانا لغوصان في بحر سميك غمى

وبكل الدعر في أعمالها ، رآته أمامها .

رأت (ادعم) ، يمدُّها يده ، ويصغى باسمها .

ومدّت يدها إليه ..

ورآته يبعد ..

جمعت كل لزعمتها في لسانها ، وحاولت أن تصرخ باسمه .

حاولت .. وحاولت ..

وهو يبتعد .. ويبتعد ..

وأخيراً انطلق اسمه ..

صرخت باسمه بكل قواها ..

وهبت جالسة على قراشها ، مع صوت أمها المشرق ،

ويديها الحائيتين ، وهي تدفع كعبيها في رفق ، محاولة إعادتها

إلى الفراش ، متممة -

— رُوَيْدُكَ يَا بَيْتِي . رُوَيْدُكَ . كل شيء على مايرام

اطمئنى .

فصحت (منى) عينيها ، وتطلعت في مزيج من الدهشة

والخبرة إلى حجرة نومها ، ثم دفعت وجهها بين كفيها ،

وانفجرت بكاء حار ، وهي تقول :

— نفس الحلم يا أمّاه . نفس المشاهد . أحلم بأننى أقع

في مارق ، ثم يظهر هو فجأة ، كما كان يفعل طفلة عمرها ، ويقتض

على الأعداء ، ويحطهم بقبضه ، ثم يفتح ذراعيه لي ،

فأسقط بيهما فاقددة الوعي .. نفس الحلم يا أمّاه .

ضمتها أمها إلى صدرها في حنان ، وهي تهمهم :

— لن يعاودك هذا الحلم بغد يا بَيْتِي كل شيء سيسير

على مايرام .. كل شيء .

انخرطت (منى) في بكاء حار ، وهي تقول :

— ولكننى أشعر أنه على قيد الحياة يا أمّاه .. ما زال قلبي

يظنه .

رَبَّتْ أمها على كعبها مشفقة ، وهي تهمهم :

— إنه كذلك يا بَيْتِي إنه كذلك .

دفعت (منى) جسدها بعيداً عن صدر أمها ، وهتكت :

— إذى فانت تصدقين مشاعري أخيراً يا أمّاه . تصدقين ما ينطق به قلبي .

غمغمت أمها ، والحيرة عملاً عيباً :

— لقد كانت مفاجأة مذهلة لي حقاً يا بيتي ، ولكن . . .
السمت عينا (منى) ، وأمسكت كفى أمها في قوة ، وهي مهتف :

— مفاجأة مذهلة ١٢ ماذا تفصدين يا أمّاه ؟ ماذا تفنين ؟

أناها صوته الخنون الذائق القوي ، من عند باب حجرها ، وهو يقول :

— ترفلي بأهلك يا (منى) .

أدارت عينها ورأسها إليه في حركة عنيفة ، كادت تقطع عنقها من جذوره ، وحذقت في وجهه الذي يحميه الطلام ، وارتجف صوتها مع ارتدادة حسدها ، وهي تغمغم

— (أدهم) ؟! أهرأنت ١٣ أهرأنت يا (أدهم) ؟
تقدم (أدهم) بضع خطوات ، ليسقط الضوء على وجهه ، وارتجف قلب (منى) بين ضلوعها في فرح أسطوري ، وهي تتأمل وسامته وابتسامته العذبة في وجد ، قبل أن تسيل الدموع من عينها ، متممة :

— مستحيل !! لا ريب أنه خُلم خُلم جيل !!

قطع المسافة التي تفصلها عنها بالخطوة واحدة ، واحتضن كفيها الرقيقة براحيه ، وهو يقول في صوت ملؤه الدفء والحنان :

— بل منى حقيقة يا (منى) .. إنه أنا . أنا (أدهم صبري) ، بشحمه ولحمه ودمه وأعصابه . هو أنا يا (منى) .

صالت الدموع من عينها ، وهي تملأ بصرها بوجهه ، قاتلة :

— أهرأنت حقاً ١٤ .. يا إلهي ..! لقد كان قلبي على حق .
لم تكذبي مشاعري أبداً أنت على قيد الحياة
انضم في حنان ، قائلاً :

— لم يحس موعد طرائفنا بعد يا عزيزي .
انهمرت الدموع من عيني الأم ، وهي ترأب ذلك المشهد ، وقالت تحاول إخفاء ضعف أمومتها الغريزية :

— لا ريب أنك تحتاج إلى لدح من القهوة يا سيد (أدهم) .
أجابها (أدهم) معسماً :

— إتنى أكون إليه بالعمل .

أسرعت الأم تغادر الحجر ، متعلقة بإعداد الفهرة ، في حين همست (منى) في معادة .

— أين كنت ؟ أين اختفيت طيلة عام وربع العام ؟ غمغم .

— إنها قصة طويلة
هضت في غفلة .

— أين ذهبت بعد انفجار وكر (بانسو) ؟

لولا كملها في رفق ، وبهش معجها إلى نافذة الحجر ، وراح يتطلع منها إلى قطرات المطر ، التي تصاقط على الزجاج ، قبل أن يقول .

— إنني لم أفارق (المسكينيك) يا (منى) .
هضت في دهشة :

— عجباً !.. لقد بحثت عنك رجالاً في كل خبر من
قاطعها :

— كنت في بلدة صغيرة ، بالقرب من (كيووا) .
حدثت فيه لحظة في دهشة ، ثم قالت :
— وماذا كنت تفعل هناك ؟
نهذه قائلاً :

— ألم أقل لك إنها قصة طويلة ؟

ران عليهما الصمت لحظات ، راحت هي خلاتها تتأمله في هيام وسعادة ، حتى وقعت عينها على أصابع يده اليسرى ، فارتجف قلبها ، وتجمدت مشاعرها كلها ، وبدأ صوته بارتجافه أخيه عتقاب كهربي يهترق حائطاً من الحرسنة لسلحة ، وهي تقول

— (أدهم) ! هذه النبلة في إصبعك !؟

بدأ لها صوته نفثاً بالأسف ، وهو يقول :

— لقد تزوجت

هبط عليها الحير كالصاعقة ، واتسعت عينها في دُخُول ، وهي تقول في مرارة قاتلة :

— تزوجت !؟ . تزوجت من !؟

احترق الجواب قلبها كخشب من نار ، عندما قال في مرارة

— تزوجت (موليا) . (سوبيا جراهام)

مهلاً عزيزي القارئ ..

لا ريب أن كل هذا قد أربكتك ..

ولكن المثل يقول : « يقول العجب ، إذا ما عرفت السبب » ..



راهن عليهما الصمت حطاط ، وحيث هي خلافا تامله في هيام
وسعادة حتى وقت عيناها على اصابع يده اليسرى

والسب يعود إلى فترة سابقة ..

إلى عام وربع العام من الماضي

إلى تلك اللحظة التي أفلت فيها المليونير التي تقل

(منى) من وكر (بانشو سيلازر) في صحراء

المكسيك

فدخا نفل إلى تلك اللحظة

ولتبحث عن السبب عن البداية ..

(٥) راجع قصة (وكر الإزهاب) المفاخرة رقم (٨٠)

٤ — انفجار ..

كانت لحظة قاسية عيفة ..

كان الرمز يحضى في سرعة ، نحو موعد انفجار ذلك الليل ،
الذى اتلوه (بانشو سيلازر) وكزأ له ، وكانت المليون كويتر
تبعد بـ (مى) والغير المصرى ، و (بانشو) يصرخ في
جُثون أطار عقله :

— لا فائدة أيها الشيطان المصرى . لقد انتهى كل شيء ..

سموت مقًا .

تطلع (أدهم) إلى المليون كويتر ، التى تبعه في سرعة ، ثم
جذب إليه (بانشو) في قوة ، وقال في صرامة .

— اسمع أيها الوغد أمثالك لا يقطون أنفسهم بهذه

البساطة . هناك مخرج من هذا حتمًا

أطلق (بانشو) ضحكة جُثوية ، وهتف

— ليس المهم هو اختراق أيها الشيطان ، وإنما الوقت الكافى

للموصل إليه .. ولم يقد لذلك هذا الوقت

البقى (أدهم) نظرة على ساعة التوقيت ، وأحصى الثواني

الباقية على الانفجار ، ثم جذب (بانشو) ، وانطلق يعلو به
مبعدا ، وهو يقول :

— ابدل أقصى جهدك لتذكر إذن أيها الوغد ..

هتف (بانشو) :

— لا وقت .. لا .. فائدة .

نوى (أدهم) ذراعه في غف ، وهو يقول في قوة .

— سأذهبك العذاب إذن في الثواني الباقية

صرخ (بانشو) في ألم :

— لا . لا . هناك مخرج سرى واحد ، خلف مكبى

الحامض ، ولكنك لن تبلغه أبدا .. الوقت البالى لى .

دفعه (أدهم) بعيدا ، وانطلق يعلو بسرعة خرافية نحو

مكب (بانشو) ..

ومضت الثواني في سرعة مذهلة .

وبلغ (أدهم) المكب ، و ..

ودوى الانفجار ..

ومع التصاعق الناشئ ، اندفع جسد (أدهم) إلى الأمام ،

وارتطم بمحاجر خشبي ، يصعب تمييزه عن حائط المكب ،

وشعر بالآلام في أضلاعه ، عندما احترق جسده ذلك الحاجر

الحشنى ، وسقط مدحرجا فوق سلام طويلة طويلة ..
وأطنان من الأثرية تتساقط على المدخل ، وتهمر خلفه على
السلام ..

أم ارتطم جسد (أدهم) بالأرض في قوة
وهوت الأثرية والصخور قوله .

وبطريقة بقاء عرافية ، من رجل تجهل غلاياه مائتيه كلمة
الاستسلام ، وراح (أدهم) يمشى طريقه وسط الأثرية والغيار ،
ويهادى الصخور الساقطة ، ويعد ، ويعد ، وسط ظلام
مُطْبِق ، ورائحة خالقة ..

لم لاحظت بقعة ضوء من بعيد . بعد ساعة كاملة من السعى
والصراع

والتمه (أدهم) بكل ما تبلى له من قوة نحو بقعة الضوء .

وبدا له كل شيء وكأن السماء تُطْبِق عليه

وراح يحفر عند بقعة الضوء في إصرار ..

ولجأ ، غمره ضوء الشمس .

ودفع جسده في قرة إلى أعلى ..

إلى بقعة مظفرة من قلب صحراء (المكسيك)

وهنا ..

هنا فقط انهارت غلاياه ..
وسقط البطل

«إنه ليدهشني حقاً أنه ما يزال على قيد الحياة .»

كانت تلك العبارة هي أول ما تسلسل إلى عقل (أدهم) ،

وهو يستعيد وحيد ..

ولقد فهمها على الفور ..

كانت العبارة باللغة الأسبانية ، ولم يجد صعوبة في فهمها
وتحيزها ، وإن خافه فهو حبيب بأن هذه اللغة ليست له
الأصلية ، ففتح عينه ، وتطلع إلى وجه كهل أشيب الشعر
واللحية والشارب ، ينحني عليه في اهتمام ، ويخضع للأسبانية :

— من أنا ؟ وماذا أفعل هنا ؟

لم يكن في سؤاله أى نوع من القرينة أو المواربة ..

لقد كان مجهول حقاً من هو ..

الانفجار والصدمة لم يمرا بلا أثر

لقد حطماً ثلاثة من أضلاعه ، وأصاباه بكمية ضخمة من

الرضوض والسحجات .

وأفقداه ذاكرته ..



وفي حيرة راح يتطلع إلى الكهل الأشيب ، وإلى تلك اسمراء الفاتنة ،
ذات الشعر الأسود الناعم الطويل

نعم .

لقد فقد (رجل المستحيل) ذاكرته تمامًا .

لم يعد يذكر من هو ، ولا إلى أية دولة ينتمي .

لم يعد يذكر حتى ما أصابه ..

لقد تحولت ذاكرته إلى صفحة بيضاء تمامًا

وأصبح هو رجلًا بلا ماضي ..

وفي حيرة راح يتطلع إلى الكهل الأشيب ، وإلى تلك

السمراء الفاتنة ، ذات الشعر الأسود الناعم الطويل ،

والرموش الراتمة ، التي راحت ترمو إليه مشقة ، وكثر

سؤاله

— أين أنا ؟ ومن أنا ؟

ابسم الكهل ، فأنشأ :

— أنت هنا في منزلي المراضع . أنا (برونكويللا) ،

ممرضة قديم بالجيش المكسيكي لتعش حطتك ، ومرايح حالي .

أمتلك مررعة صغيرة ، وهذه ابنتي (ماريانا) ، وهي كئي

ما تبقى من أسرق ، أما ترى أنت ، فهذا ما أجهله تمامًا ، فلقد

عرفنا عليك ، ابنتي وأنا ، فاقد الوعي ، محطم الأصلاخ في

الصحراء ، فحملناك إلى هنا في (كيوأوا) ، واستخدمت أنا

خبرني الموصعة لمدانك ، ولكك لم تكن لسحو من كل
إصاباك ، لولا قوة بتيتك .

عاد (أدهم) يكرّر في حيرة :

— ولكن من أنا ؟

هرّ (برونكو) كتبه ، لائلًا :

— الله وأنت وحدكما إجابة هذا الزّان يا ولدي

قال (أدهم) في ضيق .

— ولكنني لا أذكر شيئًا البتّة ذاكرني بيضاء تمامًا

سأله (برونكو) في اهتمام

— ألا تذكر حتى أشياء متفرقة ؟

هرّ (أدهم) رأسه فلياً ، وهو يقول في مرارة

— مطلقاً

لنهدّ (برونكو) في أسف ، وقال

— لا ريب في أنك قد تعرّضت إلى صدمة قاسية ، أفقدت

الذاكرة ، والله وحده يعلم متى تستردّها

اندفعت (ماريانا) بفتة تقول :

— ولكك أنت مكسبكًا ..

حدّق (أدهم) في وجهها بدهشة ، في حين عقد والدها

حاجبيه ، لائلًا

— ما الذي يدعوك إلى قول هذا ؟

أربكت وهي تتطلّع إلى (أدهم) ، وقالت .

— إنه لا يتحدث الأسبانية بلهجة مكسيكية سليمة تمامًا ،

ثم إنه أبيض البشرة ، وطويل القامة ، و .

فاطمها والدها :

— أي فراء هذا ؟

أسرع (أدهم) يقول :

— ربما هي على حق يا سيدي ، لمصحح أنني التحدّث

الأسبانية ، ولكن شيئًا ما في أصمالي يؤكّد لي أنها ليست لغتي .

هل تدرك ذلك ؟

ازداد انطداد حاجتي (برونكو) ، وهو يفهم .

— بالتأكيد .

ثم اعتدل مستطردًا :

— على أية حال ، إننا في سعي لكشف هويّتك الآن ،

فصدا عفرنا عليك منذ يومين ، لم تكن تحمل أوراقًا ، أو . . .

فاطمه (أدهم) في دهشة :

— منذ يومين ؟ . هل أنا فاقد الوعي منذ يومين كاملين ؟

اجتمع (برونكو) ابتسامة باهية ، وهو يفهم .

— على الأقل .

ثم اعتدل متأقفاً للتصريف ، وهو يسطر

— سأتركك الآن لتسرع ، وسعد لك (ماريانا) وجهه

ساحته ، وعليك أن تبذل أقصى جهدك لتسرد قواك في أسرع

وقت .

فانما وانهم ابتسامة أخرى باهجة ، قبل أن يغادر المكان .

ويطلق الباب خلفه في هدوء ، فابتسمت (ماريانا) لـ (أدهم)

في تعاطف ، ورثت على كفه ، قائلة في حنان :

— اطمئن .. ستشفى .

منحها الفضل ابتسامة استطاع رسمها على شفه ، وهو

يتمم :

— أشكرك .

ثم استرخى في فراشه ، وترك لأفكاره العنان

من هو ؟ ..

من شعبه ؟ ..

إلى أي جنس ينتمي ؟ ..

يدت له كل هذه الأسئلة مُحيرة عجيبة ، وهو يعتصر دهنه

للبحث عن أجوبتها عينا ، ثم لم يلبث أن شعر بالإرهاق ، فقرر

الاستسلام للموقف مؤقلا ، حتى يسرد ذاكرته

أو يفقد طويته ..

إلى الأبد

٥ — عاصفة في الأفق ..

أربعة أشهر مضت على تلك الواقعة . اسرذعيا (أدهم)
قوته وعافيته وحسن ذلك الاسم . الذي محبه إياه
(برويكو) اسم (أميغو) الذي يعني (الصديق)
بأنفه الاسبابية . وأوته (ماريانا) كل عابثها . ومنحته
حباها .. أو فلنقل حبا ..

ولكن (أدهم) لم يظهر بكل هذا ..

لقد واصل رحله ابائسه لبحث عن نفسه
لاستعادة ذاكرته .

للسعي خلف خوونه .

ول كل يوم . كان (أدهم) يقضى بهاره في معاودة
(برويكو) في مرزعه الصغرى . وعند غروب الشمس يجتلي
حواذه . ويطلق به إلى ذلك الهر . عند حافة المزرعة . فيجلس
على شاطئه الصخري . يتأمل الغروب . ويدل أقصى جهده .
لاستعادة ذاكرته

ول ذلك اليوم . لحقت به (ماريانا)

ودون أن يبادلا كلمة واحدة . جلست إلى حواره صامتة .
وراحت تلتقط الخصى الصغير . وتنفى به في الهر . ثم لم تلبث
أن التفت إليه . عتمة :

— (أميغو) أما رلت تبحث عن ماصيك ؟

أجابها دون أن يحول عييه عن الهر

— الإنسان لا يستطيع محو ماصيه دفعة واحدة

يا (ماريانا) .

تأملت أمامها الرقيقة تداعب أصابعه . وهي همس في

حب :

— وماذا تريد من اناضى ؟ فليذهب إلى الجميع المهم

هو الحاضر والمستقبل .

أبعد كنه عن أمامها . وهو يقول

— لكل امرئ ما يورى .

ثم يهض مستطردا في حزم :

— هيا .. سنعود إلى المزرعة .

قالت مستعطفة :

— ولكن الوقت مارال مبكرا . و

قاطمها في لحظة أمرة . لا تقبل النقاش

— هيا

حينها في ساطعه ، الحسن ظهر حواءها ، ثم قهر هو في رفاقة
بتطلى صهوة حواءه . فعالت في مرارة
— أنا قبيحة إلى هذا الحد ؟

أجابا في هدوء .

— بل أنت فاقسة .

هطت بلهجة القرب إلى البكاء :

— لماذا إذن ... ؟

فاطعها في الحفوت

— نلت أدرى يا (ماريان) إسي أقدرك ، وأقدر جميل

والدك . ولكنني أشعر أن وجودي هنا أمر مؤقت ، وأحس

أن أستعيد ذاكرتي . فأخذني رجلا متروخا مثالا

قالت في حزن :

— وماذا لو لم تكن كذلك ؟

صمت فتيحة ، ثم أجاب :

— من يدري عندئذ يا (ماريانا) ؟ من يدري ؟

كان هذا آخر ما تبادلناه من حديث ، طوال طريق العودة

إلى المزرعة ، ولم يكن المنزل يلوح هنا وسط المزرعة ، حتى عقد

(أدهم) حاجبيه ، وهو يقول

— يبدو أن لدينا زوارا



ولم يكن المرء - بلوح صايرط المزرعة ، حتى عقد أدهم ، حاجبيه ،

وهو يتوب — يبدو أنت لدينا زوارا

شحب وجه (ماريانا) ، ووصف يدها على صدرها ،
وكأنها تكلم الرخافة فيها ، وهي تقول في خوف واضح .

— إنه سيور (توماس) ورجاله .

تطلع إلى خوفها في حيرة ، ثم عاد يلقي نظرة على ذلك
البدن الضخم الجثة ، الذي يرتدى خُلَّةً أنيقة ، وقبعة عريضة
الأطراف ، ويقف إلى جوار سيارة أمريكية فارغة ، تتوسط
ساحة المزرعة ، وحوله أربعة رجال تندلئ مسدساتهم في
أحمتها ، على طريقة رعاة البقر ، وأمامهم يقف (برويكو)
مرتبكاً متوتراً ، يتبادل الحديث مع البدن الضخم ، الذي
يدلّس سيجاره في غطرسة واضحة ، فقال (أدهم)
(ماريانا) في اهتمام :

— من (توماس) هذا ؟

ارتجف صوتها ، على بحر يشف عن خوفها ، وهي تحب
— إنه مليونير أمريكي ، يتاع كل مزارع اسطفة تقريباً ،

ويبدو أن دُور مزرعنا قد حان .

سأها (أدهم) :

— ولماذا يتاع كل المزارع ؟

هزت رأسها قائلة :

— لست أدري .

أدار عييه بين وجهها المدعور ، وبين (توماس) ورجاله ،
ثم قال في هدوء :

— الأمر لا يستحق كل هذا القلق والخوف . فلو عرض
(توماس) هذا مبلغاً جيداً ، يمكن لوالدك بيع مزرعته ، أما
لو كان يرفض ذلك . فليس يتمكن (توماس) من
قاطعه في ارتياح .

— يبدو أنك لم تسمع عن (توماس) هذا . مادام قد طُور
الحصول على المزرعة ، فمما من وسيلة لشعه من ذلك . لقد
رفض جارنا (بايلر) بيع مزرعته ، وعاشت عليه روحته بعدها
قبلاً إلى جوار البهر . وعجرت الشرطة عن إثبات التهمة عن
أى مخلوق ، و ...

قاطعتها (أدهم) ، وهو يتطلع إلى (توماس) بنظرة
جيدة :

— آه !! هذا أسلوبه إذن .

وفي أعماقه تولدت فجأة غريزة قتالية شطة

أو أن دهنه قد امتلأها من دون ذاكرته

وفي هدوء وثقة . غير (أدهم) بجوده سور المزرعة

الحشيش . وخلفه (ماريانا) ، وتوقف إلى جوار سيارة
(توماس) ، وهبط من فوق صهوة جواده . قائلا
— مساء الخير يا سيور (برونكو) يبدو أن لديك رازا
هنا

ارتبك (برونكو) ، وهو يقول :

— إله صيو (توماس)

قال (أدهم) في برود :

— أهلا

عقد (توماس) حاجبيه ، وهو يقول لـ (برونكو)

— من هذا الوقح ؟

أجابته (برونكو) في قلق :

— إنه (أميجو) مساعدى في المزرعة ، و

قاطعة (توماس) غاضبا :

— فُرّة بالترام الأدب .

قال (أدهم) في هدوء :

— وهل تجاوزته ؟

استحسن وجه (توماس) غصبا ، وتعمّرت يد رجائه ، وهى

تنجس نحو مقايض المسدّات ، فأسرع (برونكو) يقول

— زوّلدك يا (أميجو) ، لا تحدث إلى سيور (توماس)
هكذا .

شعر (أدهم) بلُحى (برونكو) الشديد . فراجع
مقعدًا في ضيق :

— لا بأس يا سيور (برونكو) لا بأس .

نعت (توماس) دُخان سيجاره في غف ، وهو يقول .

— هذا الخجل .

ثم التفت إلى (برونكو) ، مسطرًا في لحظة رحل يكمل
حديثًا سابقًا :

— هه . مارايك يا (برونكو) سأدفع عشرة آلاف

بيرو ، مقابل مزرعتك هذه .

ارتبك (برونكو) ، وهو يقول :

— معذرة يا سيور (توماس) ، ولكن هذا المبلغ

لا يساوى نصف ثمن المنشآت

قال (توماس) في ضيق :

— فليكن سأدفع عشرين ألفًا وهذا آخر رقم

قال (برونكو) في تولد بالغ :

— ولكنى لا أريد بيع المزرعة يا سيور (توماس)

ابتسم (توماس) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول
.. لا تريد عاذا ؟ ..

انطلق فجأة يلهفه صاحكًا ، وشاركه رحاله الأربعة
صاحته . قبل أن يسمح فمه بكلمة على نحو مقرر ، ويقول
— اسمع يا (بروكو) — إننى أريد هذه المزرعة ، وعندما
يولد (توماس موران) شيئًا ، فإنه .

قاطعته (أدهم) بغصة في صرامة .

— يدرك أنك تحتاج إلى طبيب جيد لتسلك أذيتك بامسيور
(توماس) ، فانت لم تسمع سيور (بروكو) جيدًا . عندما
أعلن أنه يرفض بيع مزرعته .

بدت تلك العبارة أشبه بلهجة ذؤوب في أسماع الجميع ، وساد
بعضها صمت رهيب . وخشب وجهها (بروكو)
(و (ماريانا) ، واحطى وجه (توماس) . وارتسم الذؤول في
عيون ووجوه الجميع ، وقد صار (أدهم) في لحظة واحدة قبلة
أنظارهم ، في حين وقف هو هادئًا ، ممشوق القوام ، يعقد
ساعديه أمام صدره القوى ، ويطلع إلى (توماس) ورحاله في
ثبوت ، قبل أن يتفجر (توماس) صارخًا .

— هل جئت ؟

قال (أدهم) في هدوء باردة كالثلج .

— ريثما والآد أخيرى هل تفضل الرحيل مع رجالك
في مبارتك ، أم أنك تحب سيارة الإسعاف أكثر راحة ؟
حذق الجميع مرة أخرى في وجه (أدهم) في الذؤول ،
وغضمت (ماريانا) في أنفها :

— (أميجو) .. يا إلهي !!!

وصرخ (توماس) وقد خنّ خنونه .

— لقد تجاوز هذا المعنوه حدوده ، ويحتاج إلى درس قاس
بأرجال .

لم يكذبتم عبارته ، حتى صم الرجال الأربعة قبضاتهم ،
واندهشوا اندفاعه رجل واحد نحو (أدهم)
وحالت لحظة الاختيار ..



٦ - الرجل ..

صحيح أن (أدهم صبرى) كان فاقداً لذاكرته تماماً
صحيح أنه لم يكن يعلم من هو ؟
ما هو أبوه ؟
أين وطنه ؟

ولكن في مثل تلك الظروف ، عندما يتعرض المرء لخطر
ما ، فإن دُور الذاكرة هنا يتراجع ، وتبقى فقط الغريزة .
غريزة البقاء ..

وفي تلك اللحظة ، عندما بدأ الهجوم ، لم يكن (أدهم
صبرى) يذكر أنه يعدّ أقوى رجل محارب في العالم ، باعتراف
الأعداء قبل الأصدقاء ..

ولم يكن يذكر كم من المهارات يمتلك
ولكنه كان يشعر بالقوة ..

عقله الباطن كان يعلم من هو ..

ولقد هاجم رجال (توماس) خصمهم الأعزل ، وهم
يجهلون نفس ما يجهله هو ..

يجهلون أنه الرجل . الذى ارتجف لذكر اسمه عمالقة أركان العالم
كله ..

(رجل المستحيل) ..

ولقد ظل (أدهم) عاقداً ساعديه أمام صدره ، منتصباً إلى
مهاجيه بنص النظرة الباردة الحاقية ، حتى صاروا على قيد
خطوات منه ..

وفجأة ، استحال إلى عاصفة عاتية مدثرة

لقد انحنى بعضه ، متعادياً لكمة الرجل الأول ، ثم انصب
موجهاً لهذا الأخير لكمة كالقذبة ، ارتد لها الرجل متراً كاملاً
إلى الخلف ، وارتطم بالأرض كيرمل مبتل بالرمال ، في نفس
اللحظة التي ارتفعت فيها قدم (أدهم) ، وركلت تلك الرجل
الثاني ، ثم انطلقت قبضته الثانية تحطم تلك الثالث ، واشتركت
كفأه في جذب الرابع إليه ، بدلاً من تفاديه ، ثم ارتفعت ركبته
لغوص في معدة الرجل ، وتحلّت كفأه عنه ، وهبطاً في سرعة
فدھنة ، لتلتصق إحداهما مسدّس الرجل ، وتدفعه الأخرى
أرجحاً ..

وفي غضون لائتين لا غير ، وهما كل الرمي الذى استغرقه
هذا القتال ، وجد (توماس) رجاله حوله ، ولقد ذاقوا أمر

هرجة في عمرهم كله ، والرجل الذي أرادوا تحطيمه بقف
شامشا ، وبتسامته الساخرة غلا وجهه ، ومضى أحد
الرجال في قبضته ، يهزبه إلى الرجال وقائدهم ، قائلا .

— حسنا ! ماذا كنا نقول ؟

حذق (توماس) في وجهه في دُفول ، وامتدلت أذناه
بتأوهات رجائه ، وهم يهبطون في ألم وصعوبة ، في حين شُعب
وجه (برونكو) ، وهو يتم غير مصدق ما رآه عيناه

— أوه ! (أميجو) كيف فعلت هذا ؟ كيف ؟

أما (ماريانا) ، فقد تراجعت ذاهلة ، وراحت تنقل بصرها
بين (أدهم) ورجال (توماس) ، قبل أن تهتف بصوت
كافس :

— (أميجو) ؟

وفجأة ، انطلق صوت (توماس) كقبلة من الغضب ،

وهو يصرخ :

— كيف جرؤت ؟

قال (أدهم) بنفس الشَّغرية :

— هل استدعى سيارة الإسعاف ؟

احتض وجه (توماس) في شدة ، وقال ساعطا .

— اسمع يا هذا ! إنني أعترف بقوتك ، وببراعتك

لرجائي ، ولكن ينبغي أن تعلم مع من تتعامل ! إنني

(توماس) (توماس موران) ، هؤلاء الرجال الأربعة

الذين حطمت فكوكهم ليسوا سوى ذرة في جيش رجائي ، ولقد

حطمت من هم أقوى منك من قبل . ولعلم أنني لم أخل بعد

عن وعتي في هذه القرعة .

ثم رفع قدمه ، وصرب بها الأرض في قوة ، مستطرذا في

ثورة :

— عندما بظاً (توماس موران) أرضاً بحدائه ، فإنه يحصل

عليها ، مهما كان الثمن .

انعقد حاجبا (أدهم) في صرامة مخفية ، وهو يقول بلهجة

آمرة ، وصوت يكفى لتجميد الدماء في العروق

— اطلع جنائك .

حذق الخمخ في وجهه في دُفول ، وارتجف صوت

(برونكو) ، وهو يقول :

— (أميجو) .. لا تناد .

وبرقت عينا (ماريانا) ، وهي تتابع ما يحدث ، في مرج

عجيب من الشغف والخوف ، في حين هتف (توماس)

ذاهلا :

— هل جُنت ؟

جذب (أدهم) إبرة مسدّسة في صرامة تشقّ عن جذبة
أمره ، وهو يكرّر بنفس اللهجة الآمرة الرهيبة
— اخلع حذاءك أيها الوغد .

تولّر رجال (توماس) في شدة ، فأصاب (أدهم) :

— وسأطلق النار على آخر من يحتفظ بمسدّسه منكم .

أسرع الرجال يلقون مسدّساتهم أرضاً ، في دُعر واضح ،
وقد أنبأهم تلك الآلام ، التي غلّأ موضع لكلمات (أدهم) ،
أنه ليس من الحكمة في شيء عدم إطاعة أوامره ، في حين التفت
(توماس) إلى (برويكو) ، وألقى سيجاره أرضاً في غضب ،
وهو يهصرخ :

— هل أصيب مساعدك هذا بالجنون ؟

انطلقت بغلة رصاصة من مسدّس (أدهم) ، أصابت
الأرض بين قدمي (توماس) تماماً ، فقفر هذا الأخير في دُعر ،
وحذّى في وجه (أدهم) ، الذي كرّر

— اخلع حذاءك ، أو يظهر طبيبك الخاص لانتزاعه من
قدمك ، قبل يترها .

ثم أضاف في لهجة جدّدت الكلمات في مخلوق الجميع



انضمت معه رصاصة من مسدّس أدهم ، أصابت الأرض بين قدمي
(توماس) تماماً . فقفر هذا الأخير في دُعر

— وهذا الأمر يشمل الجميع .

أسرع رجال (توماس) الأربعة يملعون أخذيتهم . ونبحهم هذا الأخير في حق ، وقد شخب وجه (برويكو) ، حتى كاد يهاكي وجوه امرئ ، دون أن ينس بيت شفة ، ومتف (توماس) ، وهو يلوح في وجه (أدهم) بسيابته في غضب .
— استدفع لمن هذا غالياً .

تجاهل (أدهم) العارة تماماً ، وهو يقول في مردود .
— استمعت أيها البدين . سركني بقدميك العاريتين طويلًا ، حتى تبلغ منزلتك
هتف (توماس) ، وقد صار وجهه في لون الدم ، من شدة احتفائه .

— لن أخطئ لحظة واحدة بدون السيارة
وفي نبرود متاه ، أطلق (أدهم) رصاصات مسدسه نحو خزان وفود السيارة ، وميرد اليه بها ، وسال الوفود ، واحتلط بالماء ، وهو يقول في شخيرة :
— لقد تلفت السيارة .

مال أحد الرجال على أذن (توماس) ، وهمس مرتبكا متولزا :

— من الواضح يا سيدي أنه يتميز بالعناد الشديد ، و ..
صرخ (توماس) :

— اخبرني .

انقسم (أدهم) في شخيرة ، وهو يقول .

— أمر طريف .

ثم اكتمت ملاحه بصرامة عجيفة صاخة ، وهو يستطرد .
— والآل فليبدأ الجميع الركض ، وسأقتل من أحده داخل

حدود المزرعة ، بعد عشر دقائق من الآن . هيا
تورّد الرجال ، وهم يتطعمون إلى (توماس) ، الذي قال في غضب هادر :

— ستدعم أشد الندم على تبجحك هذا

رفع (أدهم) مسدسه ، وأطلق رصاصة في الهواء ، صاخا
— هيا .

انطلق الجميع يهذون في زعب ، وبلغ لاث (توماس)
أذان (أدهم) و (برويكو) و (ماربانا) ، وهو يجاهد للنجاح
برجاله ، عل الرغم من بدائه ، فأطلق (أدهم) ضحكة
ساخرة ، والبت إلى (برويكو) ، قائلاً

— أهذا هو (توماس) الرهيب ؟

واحدة وجه (برونكو) الشاحب ، وهو يقول في انبساط

— ماذا فعلت أيها القبيح ؟

هز (أدهم) كتفيه في هدوء ، وهو يقول

— وماذا فعلت ؟ لقد نكثت وعظما ما يستحقه من درس

لروح (برونكو) بكفه ، معتمدا .

— لقد حطمت كل شيء .

أسرعت إليه (ماريانا) ، هائلة في لوعة

— ألي .

استند الكهل إليها ، وهو يستنرد في مرارة

— لقد أشعلت غضب (توماس) ، ولم يقد لديها سوى

الرحيل .

عقد (أدهم) حاجبه في صرامة ، وهو يقول

— لا يا منيور (برونكو) صحيح أسي أجهل خوئي ،

ولكنني لم أكن لأفارق وطني أبداً يا زندي ، فإزاً من وجه

أعدائي إسي أفضل الموت وأنا أذود عنه

صرخ (برونكو) :

— فلتحفظ بهذا لنفسك .

ثم أضاف في نفس وجزع .

— إنك لا تعلم من هو (توماس) . إنه أقوى رجل في

(كواوا) كلها . إنه يملك كل شيء ، حتى حمامير القضاة

ورجال الشرطة ، وأنت لم تكف بهدفيه فحسب ، بل عملت

على إدلاله وتحقيره ، و (توماس) ليس من يظفرون هذا .

سترى كيف سينقلب العالم كله على رأسك غذا ، بالإصالة إلى

ما ستواجهه على يد جيش (توماس) الجرار .

أجابه (أدهم) في هدوء :

— لا يملكك الأمر . لن يحصل (توماس) على شيء

واحد من مزرعتك .

هتف به (برونكو) ساعطاً :

— أتثق بعصك إلى هذا الحد ؟

أصاب السؤال نفس (أدهم) بحيرة بالغة

لقد فجر ذلك الصراع القصير شيئاً ما في أعماقه .

لقد أبرز قوته وجبرأته ..

شيء ما في نفسه يقول إنه يملك قدرات هائلة .

ولكنه لا يدرك هذا ..

والعجيب أنه — إزاء هذا التحدي — لم يكن يشعر

بالخوف ، بل بتوع من القشوة ..

بشوة مقاتل عاد إلى حلبة الصراع

وفي هدوء ، أحاب

— قلت لك اطمئن

لوح (برونكو) بدراعه كلها ، صلتها

— لا .. لم احتمل مجرد انقراطية .

ثم أضاف في حرم

— سترحل

قال (أدهم) في حرم

— لا .. سأرحل أنا ، وثيل أنت وابنتك في أرككما

أطلقت (ماريانا) شهقه قصيرة ، شفت عن لوعتها ، في

حين حدق (برونكو) في وجه (أدهم) لحظة ، ثم لوح بكفه ،

فأثلا :

— لا فائدة .. أسلويت مع (توماس) سيؤجج رغبته في

الحصول على موريثي ، ورحيلك سيهيء بالخون ، ولم يبدأ

قبل أن يريق دمي ودم (ماريانا) على الأقل

زاد عليهما الصمت طويلا ، ثم أطلقت (ماريانا) شهقه

دُغر ، وهي تشير إلى حدود المزرعة ، صارخة -

— آه .. (أميجو) .. انتظرا .

أدار الاثنان عيونهما إلى حيث صرخت ، وشهق والدها
بدوره في زعج ، وهتف في ارباع :

— فلتزحما رب السخوات

أما (أدهم) ، فقد انعقد حاجباه في شدة .

لقد كانت هناك أنوار قافلة من عشر سيارات تقترب في

سرعة من مزرعة (برونكو)

وكان من الواضح أن (توماس موران) لم يحتمل الانتظار

للقد

لقد حشد جيشه ، وقرر بدء هجومه على الفور .

وعلى الرغم من دفقة الموقف ، التفت (أدهم) إلى

(برونكو) و (ماريانا) ، وقال في هدوء حارم

— ابتعدا عن هنا . اذهبا إلى البئر ، واحضبا داخله

هتف (برونكو) في انبهار :

— لا فائدة .. لقد انتهى كل شيء .

صاح به (أدهم) في صرامة :

— قلت اذهبا

ارتجف صوت (ماريانا) ، وهي تقول

— تعال معا

قال وهو يجمع السُّلَمَات الثلاثة الأخرى ، ويوجه نحو
جواده :

— اذهب .

عاولت والذها على المضي معها نحو الير ، في حين اغتل
(أدهم) صهوة الجواد ، وهما ترافيان قافلة السيارات في
صرامة رجل يدرسه جيلاً معنى أن يقاتل وحده .
وأن يكون خصمه جيشاً كاملاً



٧ — .. والمستحيل ..

حطمت قافلة السيارات سور المزرعة الخشبي ، وانطلقت
عمرس المزروعات بإطارها ، وعلى منها أربعون رجلاً
سلحون بالمدافع الآلية ، وعلى رأسهم (توماس موران) ،
الذي يلوح بقبضته ، صاروخاً :

— سيدعمون انفس أربعهم جيماً أحياء ، وخاصة ذلك
الحفر (أميرجو) . سأجعله يعلو فوق حجر مشعل . أقسم
أن أفعل .

أحاطت السيارات العشر بمرور المزرعة الخشبي ، وصرخ
(توماس) :

— اسرعوا جيماً اسلموا أو أطلق النار .
جاوبه صمت تام ، جعل أحد رجاله يقول في حذر
— يبدو أنهم قد غادروا المكان يامسدي
صرخ (توماس) في غضب :
— مستحيل ! لا بد أن أقتنص منهم جيماً
ثم أشار إلى المنزل ، هاتفاً :

— انفتحوا المكان ..

انقص رجاله على الفزل الحشيش ، وراحوا يعطرونه
برحاصاتهم ، وهم يطلقون صرخات هجينة وحشية غريبة .
جملت (برويكو) بتثيت بابتة في فرار البشر ، وهو ينف
بصوت خافت :

— بهم يدمرون كل شيء كل شيء

أمسكت ابنته كفيه ، وهي تقول بصوت مرتجف

— فليرهب كل شيء إلى الخميم يأبى إنا ندفع نحن

حياتها .

أشار إلى أعلى ، هائفا :

— وماذا عن حياة (أميجو) ؟

تحقق قلبها في لؤعة ، مع ذكر الاسم ، وترقرقت في عينيها

دمعة ، وهي تقول :

— فلتنحفظه السماء

وفي نصر اللحظة ، كان رجال (توماس) قد انتهبوا من

لغيش الفزل ، وعبروا إلى قائدهم ، يقولون .

— لا أحد بالداخل أيها الزعيم .

صاح (توماس) غاضبا .

— أين ذهبوا ؟ انطلقوا للبحث عنهم فحشوا كل شبر

في هذه المزرعة اللعينة أريدكم أحياء بأي شيء

هم الرجال بالانطلاق في كل مكان ، لتفتش المكان . لولا

أن أمطرت السماء فجأة ..

لم تخطر ماء ، كما تفعل دوما . وإنما أمطرت وقرذا

شلال من البرق اسمر فوق كل الرؤوس ، من سطح الفزل

الحشيش ، وغمر الجميع ..

وفي سرعة وغضب ، اسدأت كل الرؤوس إلى سطح

الفزل ، وارتفعت كل فوهات المدافع الآلية نحوه .

وهناك كان يقف (أدهم صبرى) هادئا ، مستظلا ، وإن

حواره برمبل صخيم ، مرؤد بمصخة الرى ، ويعمل على جانبه

كلمة (بترين) بحروف أسيانية ..

وصرخ (توماس) :

— أطلقوا النار ..

ولكن أحدا من رجاله لم يطع أمره هذه المرة

لقد نسفرت عيونهم خيفا يد (أدهم) الصبرى ، التي

عسك عثعل تناثج فيه النيران ، وهو يقول في سخرية

— أحقا ؟ لقد أدرك رجالك ما لم يدركه غياؤك أيها

الأمريكي . أدركوا أن الميزين الذي غمرهم به مادة سريعة الاشتعال ، وأنهم عندما يطلقون رصاصاتهم على جسدى سأسقط صريحا ، ويسقط معي ذلك المشعل ، فتحوّلون جيّفا إلى شعلة من النيران في لمح البصر

احتضى وجه (توماس) غضبا ، وهتم

— يا للشيطان !!

ابتسم (أدهم) في شغرية ، وهو يقول .

— هيا يا جيش الأبدن . ألقوا مسلحتكم ، وإلا ألقيت أنا مشعل .

وبكل الحق والغضب والسخط ، ألقى أربعون رجلا أسلحتهم أرضا ، أمام رجل واحد ، وصرخ (توماس)

— إنك لن تنجو إلى الأبد

أجابته (أدهم) بهبارة أمرة :

— هيا أيها الوغد . اصنع حذائك ، ولتحلج الجميع أحذيتهم

ضخّب وجه (توماس) ، وهو يتف

— لا . ليس مرّة ثانية

أطلق (أدهم) ضحكة قصيرة ، وهو يقول

— ولم لا . إننى أهوى جمع الأحذية هيا

أطاعه الجميع في حق شديد ، وألقى (توماس) حذاءه في غضب ، وهو يقول غاضبا :

— في المرّة القادمة لن تجد الوقت الكافى لتطلق مثل هذه العبارة .

أجابته (أدهم) :

— ولى المرّة القادمة لن أكتفى بخلع حذائك ، وإنما سأعيدك إلى صرلك عاريا كما ولدت أمك

عصر (توماس) شفتيه قهوا ، وهو يقول

— أيها الوغد

صاح (أدهم)

— والآه هيا . سيبدأ السباق ، وسأطلق النار على أبطأ الجميع علّوا

أطلق الجميع ينادون بخداة الأقدام ، فوق حصى المزرعة ، وأحواكها ، وهو يشبههم بصحركاته الساحرة ، ثم لم يلبث أن أطفأ مشعله . وفهر من سطح المنزل . وانغم في هدوء نحو البحر ، وانحنى يقول

— يمكنكما الصعود ، لقد انسحب الجيش . وأحببنا غلثك ما يكفي لافتتاح متجر للأحذية المستعملة



ووقفت إلى حوارة صامئة ، تتأمل في إعجاب ، في حين تسقى
والدها الخجل

ثم وراح يعاود (ماريانا) على الصعود ، ووقفت إلى حوارة
صامئة ، تتأمل في إعجاب ، في حين تسقى والدها الخجل ، وهو
يقول في يأس :

— إنني أعترف لك بالجرأة والمهارة ، ولكن كل ما تفعله
يزيد الثيران تأججاً فحسب .

قال (أدهم) في هدوء

— لقد انفتحت أبواب الجحيم ، ولن تغلقها إلا النصر
أو الموت .

هتف (برومكو) ، وهو يشير إليه :

— أنت تفتحها على مصراعها .

أجاب (أدهم) في حزم :

— وأنا سأغلقها .

قهرت الكلمة التالية إلى لسانه بتفانية

— بلذات الله (سبحانه وتعالى) .

تطلع إليه (برومكو) و (ماريانا) في دهشة ، ثم أذبح

(برومكو) برأسه ، مغمضاً .

— صدقت (ماريانا) . أنت لست مكسيكياً ، فاحس

لا تستخدم هذا المصطلح أبداً

تهد (أدهم) في عمق ، وقال :

— سأدخل البحث عن حقيقة فوقتي لما بعد ، أما الآن
فدعنا نحتاج إلى يوم عميق ، حتى نكتسب مواجهة ما سيعمله
(توماس) هذا في القدر .

حذق (برويكر) في وجهه بذبول ، متمتعا -

— يوم عميق ١٩ هل سيمكث اليوم ؟

هز (أدهم) كتفيه في لامبالاة ، وهو يقول في بساطة
— ولم لا ؟

لقد استعادت غريزته طبيعتها . قل أن يصيد ذاكرته

لقد أدركت أعماقه أنه رجل من نوع خاص ، قادر على

مواجهة العماقة وتحطيم أنف الخطر

أدركت أنه (رجل المستحيل) ..

١ مستحيل ٢ مستحيل ٣ مستحيل ٤

صرخ (توماس) بكثرة العبارات الثلاث في منحنى غضب

بالعين ، وهو يضرب سطح مكتبه بقضبه ، على حين ترك قدميه

لظبية الخاص ، يضمداً حراجهما وكدماتهما . من أثر العذو على

الصخور بلا حياء . وقال محمية ، وهو يتطلع إليه في حديق

— كان ينبغي أن تستشير أولاً يا سيور (توماس) ، قبل

أن تنطلق بكل رجالك خلف ذلك الرجل

صرخ (توماس) :

— أنتشرك أنت ١٩ وماذا تفهم أنت في شئون

القانون ٢٠ إنك رجل قانون فحسب ، كل عملك ها هو أن

تطعني عن ثمرات القانون ، وكيفية التماذ عنها بلا عسائر ،

أما القتال فهو عملي أنا

عقد انخامي حاحيه في غضب ، وهو يقول

— ومن الواضح أنك تجيد عملك

احتض وجه (توماس) ، وهو يصرخ

— هل تسخر مني ؟

لوح انخامي بلراعه ، قائلاً :

— لا ولكنني أنشد أسلوبك الأهرج هذا ، فلقد كانت

هاك عشرات الوسائل ليس ذلك الرجل قانونياً ، ولكنك تقاد

لغصبت ، وترتكب مع رجالك ما كان كهيلاً بريقاعكم تحت

طائلة القانون .

صاح (توماس) :

— أي قانون ٢١ أسيبت أن رئيس الشرطة ها يقضي

منى راتب صحفًا ، مقابل التعاضد على أية أخطاء قانونية ؟
وأنا قد اشترينا قاصدين ، و
قاطعنا الخامس في صرامة .
— ولكنك لم تنجح في شراء احكامك أو وكيل النيابة .
فلاتنس هذا .

صرخ (توماس) هادوا :
— سمع فيها غامى ، اسى لا أدفع لك ذلك الأجر اب عط ،
نتمتع عقبة في سبيل المفروض ان أعمل ما يحلو لى . ثم تسمى
انت لتقنيه

هتف الخامس غاضبًا :

— انت تعكس الأمور ياسيور (توماس)

صرخ (توماس) :

— وأنت تريدنا تعقيدًا .

بعض الطيب قائلًا :

— اهدا ياسيور (توماس) لقد انتهت من تصيد

قدميك ، ولكن عصيتك الرائدة هذه ستعجز شرايتك .

حاصلة وأنت تعاني ضغط الدم المرتفع

انصت إليه (توماس) ، فانتلا في حدة -

ألم تنه من عطك ؟ . هيا . انصرف إدد
مط الطيب شعبه في استكار ، وقال وهو يجمع أدواته
— لقد أصبحت شخصًا لا يطلق ياسيور (توماس)
صرخ فيه (توماس) ، وهو يقادر الحجره
— اذهب إلى الجحيم .

ثم الطت إلى محاميه ، مسطرًا :

— والآن أنت بك وسيلة قانونية ، لتعظيم هذا الرجل ؟

ابنسم الخامس ، وقد لاح له انتصار أسلوه ، وقال

— هناك عشرات الوسائل للتخلص منه يمكنك أن تفهمه

مثلاً بإتلاف سيارتك عمدًا ، أو بسرقتها ، وسندفع

(حوريه) لإلقاء القبض عليه بهذه التهمة ، وبعدها .

فرقع إبهامه ووسطاه ، وهو يتسم ابتسامة خبيثة ، تحل إليه

أيا تحمل المعنى المقصود ، ولكن (توماس) سأله في عصبية

— وبعدها ماذا ؟

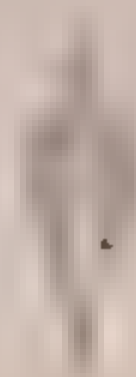
صايقه أن (توماس) لم يفهم مغزى الحركة ، فقال في

خفوت

— سيكلى (حوريه) أمره في السجن

برقت عينا (توماس) في شراسته ، وأسرع يشعل سيجاره
في الفعال ، وهو يقول :

— فهمت متوقع به في ياد (جوزيه) ، وهناك ، عندما
يصبح خلف القضبان ، يتولى (جوزيه) امره ، و
نفت ذنجان سيجاره في قوة ، وتألفت عياه جدلا ، وهو
يعتيف في حناي ؛
— ويقتله .



٨ — القانون ..

على الرغم من صعوبة الموقف ، الذي تواجهه المزرعة ،
وعلى الرغم من أن (بروسكو) وابنته لم يعضضهما حتى طيلة
الليل ، إلا أن (أدهم) استغرق في نوم عميق أدهشهما ، حتى
أن (بروسكو) سأل ابنته في حيرة ، عندما عادت من باب
حجرة (أدهم) ، على أطراف أصابعها
— أما يزال نالقا ؟

أومأت برأسها إيجابيا ، وابتمت ابتسامة حانية ، وهي
تقول :

— وعلى شفتيه ابتسامة .

كُرِّر في ذهنة .

— ابتسامة ؟

ثم هز رأسه معتمنا :

— صحب هذا الرجل ١١ يواجه جيشا من القنلة ، الذين
لا يجوز غود عن إراقة دماء القديسين أنفسهم ، مقابل حصة من
الدولارات ، وشيطانك أمره كي محبوس ، لم يجمع شخص وقف

في طريقه قطُّ وعمل الرغم من ذلك ، يجد في أعصابه ما يكفي
لنحه يوما عجميا ، في ظل كل هذه الظروف إنه إما شجاع
شجاعة الأسود ، أو أحمق تماما
اسم ماريانا ، وهي تطلع إلى حجرة (ادهم)
قائلة

— إنه لا يبدو في أحسن .

يطلع أبي ولدها خطه ، ثم عاد يفض عبه ، ممم

— بالتأكيد .. بالتأكيد

وفي نفس اللحظة كان (ادهم) عارفا في النوم

لقد استعاد حروا من نفسه

استعاد طبيعته المقاتلة العبيدة

إنه الآن يدرك أنه ولد مقاتلا

وأنه عاش كذلك

وفي تلك الليلة ، كانت أحلامه كلها تمر عبر نغمة

والباس .

رأى نفسه مقاتل وسط أحراش وفي زمان الصحاري ،

وعلى الشوج ..

رأى نفسه يقود طائرات وغواصات ..

واحتشدت أحلامه مئات الوجوه ، التي لا يذكر أسماء
أصحابها قطُّ .

ثم تلاشت الوجوه كلها ، وبقي منها وجه واحد ، من
شعاف قلبه ..

فانهم ..

وتلاشى ذلك الوجه بتؤرره ..

وتلاشت الأحلام كلها .

ثم استيقظ خطه بغلة ..

استيقظ على صوت حاف ، لم يسه إليه (برويكو)

وابته ، اللذان لم يسمعهما جيلن ..

ولم تكذب أد (ادهم) المدربة تنفض ذلك الصوت

الحاف ، وتغير فيه صوت محرك سيارة تقترب ، حتى تبته عقده

على الفور ، ففهر من فراشه ، وانفضت مسدس من تحت

وسادته ، وانذفع في خفة قط نحو النافذة

ومن بعيد ومع أصوات لشروق الأور ، رأى سيارة

تقترب ..

وكانت سيارة شرطة مكسيكية ، فاعتدل قائلا في شجربة

— يبدو أن الحرب ستبدأ مسارا جديدا

وارتدى قميصه في هدوء ، مع اقتراب السيارة ، ووضوح
صوتها ، ولم يدهشه أن اندفع (برونكو) إلى حمارته ، وهو
يقول مضطرباً :

— هناك سيارة شرطة تقرب .

أحابه (أدهم) في هدوء ، وهو يحشو قميصه داخل
سرواله :

— أعلم ذلك .

ألقى (برونكو) حده على أقرب مقعد ، وهو يغمغم
مبارزاً :

— وماذا سيفعل ؟

تأكد (أدهم) من حشو مئذنه ، ثم دسّه في حزامه ،
أسفل القميص ، وهو يقول في حجة تدعو إلى الطقة
— اترك الأمر لي ..

كانت عبارة مطاطة خبيثة ، فدلفني كل شيء ، أو لا تدفني
شيئاً بالثرة ، إلا أن اللهجة التي نطقها يا (أدهم) أخبرت
(برونكو) ، وحسبت الكلمات في حلقه ، وإن لم تجمع في
مخبر شخوب وجهه وتولّره ، حتى ماله (أدهم) ، وهو يشير
إلى الضابط المكسيكي ، الذي غادر سيارة الشرطة ، بعد
توقفها أمام المنزل :

— ما اسم هذا الشرطي ؟

أحابه (برونكو) في لحفوت :

— (جوربه)

ثم اتاحت بوبة معاجة من التوتر والعصية ، وهو يستطرد

— ولكنني أحذرك ، إنني أرض التروط في مشاكل دموية

مع رجال الشرطة الرسمية

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— مشاكل دموية ١٢ من أشار إلى تلك الأمور البغيضة .

وتسلل شيء من الغموض إلى ابتسامته ، وهو يصف

— إننا نسي الأمر بصورة وذبة مع الضابط (جوربه)

غمغم (برونكو) في دهشة .

— وذبة ١٢ .

ثم استطرد في حدة :

— من الواضح أنك تجهل كل شيء عن كيفية إدارة الأمور

في (كيوا) ، يا (أمير) ، إنك (جوربه) هذا واحد من

رجال (توماس) . وما دام قد أرسله إلى هنا ، فهذا يعني أننا

في مأزق حرج زهيب .

اتسعت ابتسامته (أدهم) ، وهو يقول

— فلنعكس الآية إذن ، ولنضمه هو في مأزق حرج

ترك (برويكو) عارقي دهشة . واتجه في هدوء إلى باب
المنزل . ولم يكده يسمع (جوريه) ، الذي رسم على وجهه
علامات الصرامة والعنف ، حتى انقسم ملوحده . قائلا
— مرحبا أيها الصابط . من خشي حقدك قد أتيت هنا .
فلديها شكوى عند سيور (توماس موران)

كانت مفاجأة لـ (جوريه) . طاحت بفاح الصرامة من
على وجهه . فارتبث مضطربا :
— عند سيور (توماس) ؟

اتجه إليه (أدهم) . ووضع يده على كتفه في ود عجيب .
وهو يشير إلى سور المزرعة المظلم من بعد . وهو يقول
— بالتأكيد انظر لقد اتفهم مع رجاله مزرعة قبرا
ليلة أمس

نفض (جوريه) دهشة . وانفض قائلا في غضب
— ماذا تفعل أيها الرجل . يسى هنا من أجل
قاطعه (أدهم) وهو يمس في أذنيه . بلهجة لוח حتى مخطورة
الأمر :

— اصمت الآن . فلا يجب أن يستمع (برويكو) وابنته
إلى حديثنا .



أدهم به تهم . ووضع يده على كتفه في ود عجيب . وهو يشير إلى
سور المزرعة المظلم من بعد

حذق (حورية) في وجهه بهشة . وهنف

— ماذا لقيني ؟

عمره (أدهم) بيده . مستطردا بنفس اللهجة

— أصب الآن . ودعنا بتعد قليلا . فلب أحب أن

يدرك الرجل وابنته ما سأخبرك به .

ارتبك (حورية) ، وحار في امر (أدهم) ، وراح يتطلع

إليه في دهشة واسكار . و (أدهم) يقوده بعيدا عن

(برويكو) و (ماريان) ، اللذين اكسهما الدهشة

بدورهما . ثم أوقفه على بعد مناسب . ومال نحوه يهرول في حرم

— سمع . انسى أشعر بك رجل هل لنفقة . ولذلك

سأخبرك بالسّر . على أن تعاون معا

فهر (حورية) فاه في دهشة ، وهو يصغم كالأنملة

— السّر ؟

تابع (أدهم) بنفس اللهجة :

— الواقع أنى أعمل حساب الضربات الأمريكية

هبطت العبرة على أدنى (حورية) كالقنبلة . وابتعدت كل

عظيرته وتعليه . فانهارت ملامحه . وهو يحدق في وجه

(أدهم) ، الذي استطرد :

— وهذا في إطار التعاون بين صحابراتنا والحكومة

المكسيكية . لتعطيل أوجه الفساد في (كيووا) ، فلدينا

معلومات تقول إن بعض رجال الشرطة والقضاة يعملون

لحساب (توماس موران) . وإنهم يتقاضون منه رواتب

شهرية . ونحن نخطط لتعطيل هذه الفئة قانما هل تفهمي ؟

هز (حورية) رأسه ينجانا . وهو يكاد يسقط بسكته قلبية .

تابع (أدهم) في جلبة عجيبة :

— والواقع أنني أحتاج إلى تعاونك في هذا الشأن .

فستراقب (توماس) لحسابنا . وستلغني بأمر كل ضابط

شرطة أو فاضل يتعامل معه . أو يعمل لحسابه . هل توافق ؟

أسرع (حورية) بيتف وهو يركع .

— بالتأكيد .

— اعتدل (أدهم) ، وانتمسم فائلا

— حسنا . متى أنتظر أول المعلومات ؟

هنف (حورية) ، وهو يرفع يده بتحية عسكرية :

— في أول فرصة

عقد (أدهم) حاجبيه ، فائلا في حزم .

— لا تؤذ التحية . إننى هنا في مهمة سرية

هتف (جوريه) مرتبكا

— بالتاكيد ياسيدى . بالتاكيد

لوح (أدهم) بكفه ، وهو يقول ،

— حسنا يا اذهب ليد مهنتك على الفور

انطلق (جوريه) فى خطوات اقرب إلى العدو ، وفهم
داخل سيارته ، وانطلق بها كالعاصوخ . فاندفع (برونكو)

لجو (أدهم) هاتفا :

— ماذا فعلت به يا (أميجو) ؟ لقد رأيتاه يؤدى لك عبا

مسكرية ، ويرتجف أمامك . ماذا فعلت به ؟

فهفه (أدهم) صاحكا ، وقال

— لقد أثرت ذعره .. أرأيت كم هى بسيطة تلك الامور

ياسنيور (برونكو) .

حذق (برونكو) فى وجهه بلقول ، ثم هص فى غضب

— أى رجل أنت ؟ . لنا نواجه خطرنا دائما ، رأب

تصرف كالمو أنها مسرحية هزلية

أجاباه (أدهم) فى هدوء

— العالم كله مسرحية هزلية ياسنيور (برونكو)

والأحق وحده من يحوله إلى مأساة باكية .

صرخ (برونكو) .

— كنت معك السماع فلسفتك فى الحياة يا (أميجو) ..

إنك لا تدرك ما فعلته بنا ، بعد أن أنقذنا حياتك

قال (أدهم) فى حيق :

— إنى أحاول الحفاظ على مزرعتك ياسنيور

(برونكو) .

هتف (برونكو) فى مرارة :

— مقابل حياتى أليس كذلك ؟ . يبدو أنك قد نسيت

فى والد لفتاة شابة ، تحتاج إلى بقاء على قيد الحياة لرعايتها

بقى (أدهم) صامتا فى حيق ، حتى اقتربت (ماريلينا) ،

وربعت على كتف والدها ، مغمضة .

— لقد كان (أميجو) يحاول معاونة يائى .

تمم (برونكو) فى انهار .

— وبالحا من معاونة !!

كل هذا كان يحطم فى أعماق (أدهم) الكثير .

ونبت الكثير

وفى حزم حمل كل قوته وصلابه قال :

— اطمئن ياسنيور (برونكو) ، لن يصيبك أو ابتك أدنى

ضرر

غمهم (برونكو) :

— هذا ما تتوقفه

أجابته في حزم :

— بل هذا ما عرمت على لفظه .

وفي خطوات صارمة ، عاد (أدهم) إلى المنزل ، وانزع
بتدقية (برونكو) المعلقة على الحائط ، ثم اتجه نحو جواده .
و (برونكو) يعابه صامتا ، فهضت (ماريلينا) والجرجع مملأ
قلبا .

— إلى أين ؟

أجابها دون أن يلتفت .

— إلى الحقل

وبقفزة رائعة ، اهل صهوة جواده ، وجذب عنانه ،
فارتفع فائما الحصان وهو يصهل في حاس انقل إليه من راحته .
ثم الطل الرجل والجواد
وبدأت المعركة .

٩ — الحرب ..

« اخبارات الأمريكية ! »

نطق (توماس) العبارة بكل الدهشة والقلق والاستكار ،
وهو يحدق في وجه (جوريه) ، الذي نقل إليه كل ما دار بينه
وبين (أدهم) ، فأوماً (جوريه) برأسه إيجابا ، وقال وهو
يرتحف .

— نعم يا سيور (توماس) . هو نفسه أخبرني بهذا
عاد (توماس) يحدق في وجهه بدهشة ، قبل أن يقول في
عصية

— أي خفاء هذا ؟ وهل من المطلق أن يكشف رجل
مخابرات نفسه على هذا النحو ؟
أجابته (جوريه)

— لقد قال إنه يشد تعاوي يأسدي ، وأنه هنا بالتعاون
مع السلطات المكسيكية ، لكشف أمرك ، وأمر من يتعاونون
معك .

بدأ الاضطراب على وجه (توماس) ، وهو يقول

— مستحيل ! لا ريب أنه كاذب محادع

تدخل محاميه ، قائلا -

— ولكن هناك احتمال صدق ياسيور (توماس)

هاتف (توماس) ، وهو يتوَّح بيده في حذوة

— مطلقاً لو أنه رجل محابرات أمريكي ، فهو يعرف أن

(جوروي) يعمل حساباً حسناً ، ومن المستحيل أن يكشف له

أمره هكذا

قال المحامي

— ربما هي متاوردة مدروسة ، لمعرفة رد فعلنا إزاء الموقف

صاح (توماس) في عصبية .

— مستحيل ! إني أرفض هذا المنطق

قال المحامي في لهجة تنطوي على بعض الصرامة

— معذرة ياسيور (توماس) ، ولكن دعني أذكرك أنك

لا علك حتى الرخص ، فليست تعمل وحدك

عقد (توماس) حاجبيه في غضب ، وهو يقول

— ماذا تريد بالضبط ؟

أجابه المحامي ، وقد استعاد سمته الهادئة

— أريد أن ندرس الأمر بشيء من التعقل والتروى ، فعل

الرغم من غرابة موقف (أميحو) هذا ، إلا أننا قد لاحظنا شيئاً
أنه ليس مكسيكياً ، وأن بشرته وملامحه يجعلانه أقرب إلى
الأمريكيين ، أضف إلى هذا خرائطه المذهبة ، وأساليبه المتكررة ،
وقدرته القتالية المتطورة ، التي جعلته يهرم أربعة من رجالك
في ثانتين لمحسب كل هذا يشير إلى أنه ليس رجلاً عادياً
إنه رجل من نوع خاص .

وصفت لحظة ، ثم أضاف وهو يضغط حروف كلماته .

— رجل محابرات .

امض وجه (توماس) لخطات ، ثم لم يلبث أن استعاد

حذته ، وهو يقول :

— أو مغامر مصعرج .

التقط المحامي سماعة الهاتف ، وقال وهو يضغط أزراره

— هناك وسيلة للتأكد .

ثم قال هزئ الهاتف :

— مرحباً يا (أندريا) إنه أنا (كال) . اسمعني

جيداً هل لديكم أية أعمال خاصة ، مع السلطات المكسيكية

في الوقت الحالي ؟

بدا الاهتمام على ملامحه ، وهو يستمع ، قبل أن يقول

— مطلقاً !

ثم ابصم في ارتياح ، وقال .
— سنأيا (أندرها) بالتأكيد . متحصل على مكافأة
جيدة .

وأعاد سعاة الهاتف إلى موصعها ، وهو يقول في ابتهاج
— هذا الرجل لا يهتم إلى التغيرات الأمريكية
أثناء فجأة صوت ساخر ، يقول :
— لو أنك سألتني مباشرة لحصلت على الجواب نفسه أيما
الوعد .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت في ذهشة تنمّح بالذعر ،
وتجمّدت الدماء في عروقهم . وهم يتطلعون إلى (أدهم) ،
الذى وقف هادئا متبسّما عند النافذة ، يصوب إليهم بديقته .
ويستطرد في سخرية :

— عجباً ! هل أدهشكم وحوذى إلى هذا الحد ؟
مضت لحظات من صمت ثقيل بالذفول ، قبل أن ينفث
(توماس) :

— كيف وصلت إلى هنا ؟

أجابه (أدهم) ساغراً :

— على قدمي .

صرخ (توماس) :

— كيف اخترقت حواجز الأمن ؟

أجابه (أدهم) متهاكماً :

— آه حواجز أمن ؟ لم يعترض طريقى سوى رجلين ،
حطمت أنف أحدهما ، وأسكن الآخر ، وبعدها أوقفت التيار
الكهربي ، الذى يسرى في سور المدرعة ، وأتيت إلى هنا
مباشرة

هتف الهامى :

— ألم يعترضك أحد ؟

هزّ كفيه قائلاً :

— مطلقاً

ثم أضاف في سخرية :

— لقد قطعت الطريق من البوابة إلى هنا في هدوء ، على
صهوة حوادى ، حاملاً بندقيتي على كتفى ، ورجالكم
يتشرون في كل مكان ، دون أن يبالى أحدهم عمن أكون
أو أعمل ، وكأنى بهم يظنّوننى أحدهم

همهم الهامى في مُحط :

— هذا ما ظنّوه بالتأكيد .

ثم أضاف في غضب :

— لقد حذرنت مراراً من الاعتقاد على المرتفعة يا سيور
(توماس)
ظن (توماس) يحدق في وجه (أدهم) وتدقيقه لحظات ،
ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وقال في حدة
— حسناً .. ماذا تريد ؟
أجابه (أدهم) ساغراً :
— لقد سألت المهم يا (توماس) إني لم ات لاجد ،
ولمّا لأعطيك
غمغم (توماس) في دهشة :
— تعطيني ماذا ؟
صوب (أدهم) سدفته إلى رأس (توماس) ، وهو يقول
في برود مفاجئ :
— عاريتك في رخصة ؟
ترجع (توماس) بحركة غريبة ، وهو يقول
— لا
ثم لم يلبث أن شعر بالصيق مما فعل ، فاعتدل عافذا حاجبيه ،
قائلاً في عصبية شديدة
— اسمع يا هذا إني مستعد لدفع أى مبلغ تطلبه

قال (أدهم) في هدوء
— إلى أى حد ؟
هتف في توكر :
— سأدفع مائة ألف دولار بل ربع مليون دفعة واحدة
انهم (أدهم) في سخرية ، وقال
— لرى كم مررعة يمكن شراؤها بمثل هذا المبلغ
اندفع الهامى يقول في حدة .
— حسناً .. كم تريد بالضبط .
اعتدل (أدهم) ، وأجاب في صرامة
— مزروعة (برونكو) .
هتف (توماس) في دهشة
— ماذا ؟
كؤر (أدهم) في لهجة غريبة :
— أريد مررعة (برونكو) أريد تعهداً كتابياً بعدم
المساس بها ، أو بمالكها .
انفتحت بطرات (توماس) ، والهامى (كال) في حيرة ، ثم
قال (كال) متوقفاً :
— اسمع يا سيور (أميجو) إنا على أنتم استعداد لدفع

أى مبلغ يطلبه سيور (برويكو) مقابل مزرعته . سدفع له
لثنا مجزئاً ، و

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

— لا ، إنه سيحفظ بالمزرعة .

تبادل الاثنان نظرات التوثر مرة أخرى . ثم قال (كال)

— الواقع أن هذا أمر عسير ، و .

قاطعه (أدهم) مرة أخرى ، فى صرامة أشد

— فى هذه الحالة نحدد مضطراً لقتلكما معاً

صرخ (توماس) :

— لا . لن يمكنا التراجع أقسم لك

بدت المصاراة عجيبة لـ (أدهم) فسأله فى حرم

— لماذا ؟ أأنت صاحب الأمر هنا ؟

جفف (توماس) عرقه فى اضطراب ، وهو يقول

— الواقع أنني لست

رماه الضامى بنظرة نارية ، جعلته يتر عياره بخته ،

ويستطرد فى تولثر :

— لست مستعداً للتراجع .

لم تخطئ عينا (أدهم) المدرجتين ما حدث ، وجعلته غريبه

يقول :

— لماذا تحاول إخفاء الأمر أيا الوغد من الواضح أنك

لست صاحب الكلمة الأخيرة فى هذا الشأن

ارتبك (توماس) فى شدة ، فى حين قال (كال) فى

عصية

— ليس لك شأن بهذا لقد قدمت لك عرضاً لشراء

مزرعة (برويكو) بأى سعر . وهذا كل ما أمالك لتقديمه .

ابتسم (أدهم) ابتسامة عجيبة ، وهو يقول

— خطأ يا رجل إن لديك الكثير لتقديمه فى

ارتسمت على شفاه (كال) ابتسامة ارتياح مباغتة ، وهو

يقول :

— هكذا ؟ يبدو أننا لن نبقى أبداً ياسيور (أميجو)

وفجأة ، انصرفت قوّة مسدس باردة بظهر (أدهم) ،

وارتفع صوت صارم من خلفه يقول

— هنا يا رجل . ألق سلاحك . ما لم ترغب فى الرحيل عن

هنا بهذه السرعة . هنا . إننى لا ألتزم بالصبر

١٠ - واشتعلت النيران ..

من السمات التي يتميز بها (أدهم صبرى) كونه رجلاً لا يحب إضاعة الوقت ، ويكره الاستسلام تماماً وعندما التصقت بظهره قوة المسلّس ، أدرك على الفور أنه لن يستسلم ، على الرغم من أنه لم يكن قد استعاد ذاكرته ومعرفته بنفسه ، وبقدراته بعد .
ولمضأة ، ومع آخر حروف كلمات الرجل ، تمزّك (أدهم) ..

لقد انحنى بسرعة مذهلة ، ودار على عقبه ، ثم كال للرجل لكلمة كالقنبلة في معدته ، وهبّ والفا ، عندما اثنى الرجل ، وحطم فك هذا الأخير بكعب يديته ، وألقاه من النافذة إلى الأرض .

ولكن هذا كان إيذاناً باشتعال النيران

لقد رأى رجال (توماس) ما أصاب وميلهم ، عندما هوى من الطابق الثانى إلى الأرض ، فاستلوا أسلحتهم ، واندفعوا نحو المنزل ، فى نفس اللحظة التي التزم فيها المحامى مسلّسه من سرعتهم ، وصرخ .

— سمعوت أيا العين .

ثم أطلق رصاص مسلّسه نحو (أدهم)

وبحركة غريزية سريعة ، انحنى (أدهم) متفادياً الرصاصة . ثم أطلق من يديته رصاصة أطاحت بمسدس المحامى ، الذي تراجع صارخاً فى رعب لا يفتلى

وفى نفس اللحظة التحم الحجرة سبعة من رجال (توماس) ، شاهدين أسلحتهم وغضبهم .

وصار (أدهم) بين شفى الرضى

ما يقرب من ثلاثين رجلاً يندفعون إليه من الخارج وسبعة من الداخل

ولم يكن هناك مجال للاختيار

وبلا تفكير ، ففر (أدهم) داخل الحجرة ، وأطلق يراى يديته على رجلين ، قبل أن يقفز خلف منصة كبيرة ، تلفّت حوله رصاصات الحزمة الباقية

وصرخ (توماس) ، وهو يعدو خارج الحجرة -

— اقتلوه . اقتلوه .

ولم يكن الأمر يقضى شيئاً فى الواقع ، ففقدت الأسلحة

كلها مصوبة نحو (أدهم) ، الذى أطلق من بندقيته رصاصتين
أخريين ، انزعجا التين من قائمة محبوسه ، قبل أن يطلع الباقون
النافذة ، ويمطرونه بالرصاصات بدورهم
وبدت النجاة في هذه اللحظة ، أقرب ما تكون إلى
المستحيل ..

وفجأة ، صاح (أدهم)

— كفى .. إني أستسلم .

توقف انهمار الرصاصات بلفة ، وراى صمت تام ، وكأنها
حار الرجال في هذا الاستسلام المباغت ، أو أنهم ينتظرون رأى
زعيمهم في هذا الشأن ..

وشقى (توماس) الصفوف مبهتجا ، وهو يهتف :

— ألق سلاحك ألقى سلاحك

ألقى (أدهم) بندقيته غير المائدة ، التى يغطي خلفها ، ثم
بعض واقفا ، وهو يقول في هدوء
— هاهذا !

انضخت أوداج (توماس) ، وهتف وهو يتجه نحو
(أدهم) :

— كان هذا أفضل ما تفعله بأرجل لا أحد يمكنه أن
يتحدى (توماس) .



اتسم (أدهم) في أعماقه ساخراً، دون أن تظهر اجسامته
 على وجهه ..
 لقد قدر هذا قائماً ..
 وأدرك أن (توماس) سيبقى عليه حياً لو استسلم
 لقد فهم طبيعة (توماس) السادية المتسلطة، التي تدفعه
 إلى الإبقاء على أعدائه، عندما يضمن سيطرته عليهم، حتى
 يستمتع بإذلالهم أولاً، قبل أن يوردهم تحتهم .
 وفي الواقع، كان (توماس) هو وسيلة الوحيدة
 للنجاة .

ولقد ترك (توماس) يقترب منه، وهو يتابع في رهق :
 — كان ينبغي أن تستلم من البداية، لقد كان هذا خليفاً
 بدعني إلى قنلك دون ألم، أما الآن .
 فجأة، ففر (أدهم) من موضعه، وأحاط عنق
 (توماس) بذراعه في قوة، ثم انتزع المئس الذي يخفيه في
 حرامه، والصلب برأس هذا الأخير، قبل أن يلمس وجاله
 حركة واحدة، وهتف في صرامة :
 — خطوة واحدة وأفجر رأس زعيمكم الرغد هذا .
 — شجب وجه (توماس)، وهتف في زعج :

— لا .. لا تفعلوا شيئاً .

وهتف المئس في غضب :

— كنت أعلم أنه داهية .

اتسم (أدهم) في منخريه، وهو يلكز (توماس) بقوّة
 المئس، قائلاً :

— هيا أيها الطفل المطيع، مرّ رجالك بإلقاء أسلحتهم،
 والامتثال في هدوء .

تحسّر صوت (توماس)، وهو يقول لي حتى :

— ألقوا أسلحتكم .

أنقى الرجال أسلحتهم في سحط، وعيونهم تتابع
 (أدهم)، الذي راح يدفع (توماس) أمامه، قائلاً :

— هيا .. أفسحوا الطريق، وأعدوا سيارة قوية .

هتف المئس :

— إنك لن تبعد كثيراً يا رجل

أجابته (أدهم) في منخريه :

— ومن قال أنني أرغب في هذا ؟

واصل دفع (توماس) أمامه، حتى ركب معه السيارة،

ثم صعدت دواية الوقود في قوة، فانطلقت به السيارة مبتعدة،

وصحكه المذجلة ، تشق السماء ، والهامى يلوح بفجسته
غامباً ، هاتفا :

— لن تبعث كثيراً .

وتابع يهصره السيارة ، حتى انحفت في الأفق ، قبل أن
يستطرد في خفق :

— لقد صار (توماس) هذا أسعف مما يحتمل .

وانجبه إلى المنزل ، والرجال يلتفون حوله هاتفين .

— ماذا لفعل ؟ .. هل تطارده ؟

أجابهم في حدة :

— لا داعى .. لقد اتخذت ما يلزم

وف المنزل حمل سعاة الهاتف ، وقال في حدة .

— أين ذهب (جوزيه) الوغد ؟ إني لم أره منذ بدأ

القتال .

أجابهم أحد الرجال :

— لقد فقد الوعي ، فور ظهور ذلك الشيطان .

مطاً شقيقه ، قائلاً في ازدراء :

— لقد الوعي ؟ .. يا للعار !

ثم ضاغط أزرار الهاتف ، وانظر حتى سمع صوتاً عجيبة من

الطرف الآخر ، فاعتدل في احرام ، وقال :

— كيف حالك ياسيدى ؟ إله أنا . (كال) . إني

أحدث معك بشأن (توماس) نعم . لقد سقط مرة

أخرى ، ولم يقد يصلح لتولى المهمة هنا . نعم ياسيدى . أنا

في انتظار أوامرك .

برقت عيناه في شراة عجيبة ، وهو يستمع إلى محدثه ، ثم

قال :

— بالتأكيد ياسيدى .. سأبذل أقصى جهدى شكراً

لك .

وأعاد سعاة الهاتف ، وهو يلتفت إلى الرجال ، قائلاً .

— الآن يمكنكم الانطلاق لتصبح السيارة .

سأله أحدهم :

— هل نطلق النار على (أميجو) مباشرة ؟

برقت عيناه مرة أخرى ، وهو يقول .

— بل على الاثنين . لقد أتت الأوامر الجديدة ، ولم يقد

(توماس) زعيمنا .

سأله الرجل في فحشة :

— من الزعيم إذن ؟

بدت عيناه ككتلتين من الذهب ، وهو يجيب في زهو .

— أنا ..

لم يكذب (أدهم) يتجاوز سلسلة جبلية قصيرة ، حتى أوقف
سيارته ، وهو يلتفت إلى (توماس) ، قائلاً :

— والآد يا عزيزي (توماس) ، قلنداً حديثنا الطويل .
ارتحف (توماس) في رُعب ، وهو يحثق في فؤاده المسدس
المصنوعة إليه ، قائلاً :

— ماذا تريد مني ؟

أجابه (أدهم) :

— كل مالهيك يا (توماس) كل مالهيك .. أريد أن
أعلم لماذا تسعى لشراء كل أراضي (كيووا) ، ولحساب من
تعمل ، ومن زعيم كل هذه اللعبة

شكّبه وجه (توماس) في شدة ، وهو يقول

— لن يمكنني أن أخبرك سيقولوني لو فعلت !

جذب (أدهم) إبرة مسدسه ، وهو يقول في صرامة :

— وسأفعلك أنا لو لم تفعل ماذا تختار ؟

بكى (توماس) من شدة رُعبه ، وهو يقول

— الرحمة ! الرحمة ! !

ثم هتف في مراوّة :

— لماذا تسعى لمعرفة كل هذا ؟ إنه لن يفيدك شيئاً

كان هذا السؤال غريباً لـ (أدهم) حقاً !

لماذا يسعى إلى المعرفة ؟ ..

لم يكن يدرك لحظة أن السعى وراء المعرفة هو مهنته . وأن

غريزته تقوده إلى فعل ما يفعله ، دون أن يدرك هو نفسه لماذا

كان وجلاً فقد ذاكرته ..

ولكنه لم يفقد نفسه ..

وفي حزم عنيد ، أجاب :

— لا شأن لك بأساقي ، مستجيب أسئلتى فحسب

ارتحف (توماس) في شدة . وهو يقول

— لا .. أرجوك .

صاح (أدهم) في غضب :

— أجب يا رجل . أجب وإلا ففجرت رأسك

برصاصاتي .

قال (توماس) مضطرباً :

— وهل تعدون بكتبات الأمر ؟ أغني هل يمكنك أن تكفي

عنهم أنني أخبرتك ؟

أجابه في حزم :

— أعذك .

تهدد (توماس) في ارتياح ، واسترخى في مقعده ، وكأنما
الزواج حمل ثقل عن نفسه ، وهو يقول :

— حسنا ، ما الذي تريد معرفته ؟

سأله (أدهم) :

— أريد أولاً معرفة سبب شراء الأرض كلها .

زفر (توماس) في قوة ، وقال :

— اليورانيوم .

كرّر (أدهم) في دهشة :

— اليورانيوم ؟

لوح (توماس) يده ، مشيراً إلى الأراضي المبسطة أمامه ،

وهو يقول في تولو :

— نعم يا رجل .. اليورانيوم .. كل هذه الأرض التي تراها

أمامك تسبح فوق اليورانيوم ، ذلك العصر الذي دفع العالم

إلى الأمام ، واقتحم به عصر الذرة .. تلك المادة التي تعدّ البنية

الأولى في كل تفجير ذريّ .

غمغم (أدهم) في اهتمام :

— التفجير الذريّ يحتاج إلى البلوتونيوم يا رجل .

هزّ (توماس) كتفيه ، قائلاً :

— ربما .. لست أدرك شيئاً في هذه العقيدات العلمية ،

ولكنني أعلم أن أرض (كيبواوا) تساوي مليارات الجنيهات ،

وأن من يملكها سيصبح أقوى رجل في العالم ، والمنظمة التي

أعمل لحسابها ستمتلكها عما قريب ، وستستخدم اليورانيوم

الموجود لصنع أقوى الأسلحة النووية ، كخطوة أولى في سبيل

السيطرة على العالم أجمع .

عقد (أدهم) حاجبه ، وهو يقول :

— أية منظمة تلك ؟

أجابته (توماس) :

— ربما لم تسمع باسمها أبداً من قبل ، ولكنها أقوى منظمة

في العالم كله ..

منظمة (سكوريون) ..



١١ - العقارب ..

ذوى الاسم في رأس (أدهم) ، وتردد داخله في غنف ..
(سكوريون) .. العقرب .. العقارب ..
بدا الاسم مألوفاً بشدة في ذهنه ، إنه لم يجد صعوبة في
استيعاب ما يرمز إليه ، إلا أنه لم يذكر أبداً حتى سمع به أو
علمه ..

وفي خيرة ، ردد :

— (سكوريون) ؟

أجابته (توماس) :

— نعم .. إنها واحدة من أقوى منظمات العالم ، في لعبة
الجاناسوسية ، ولها عشرات الأفرع ، في كل مكان في العالم ،
ومنذ عام أو يزيد ، راحت المنظمة تبنى عشرات المقاعلات
الذرية ، في أماكن خفية من العالم ، واستقطبت مئات العلماء
البارزين في هذا المجال ، بهدف البدء في تصنيع كم من الأسلحة
النووية ، يكفل للمنظمة القوة المطلقة ، ويجعلها في مصاف
القوى العظمى .

ثم لُوح بلواحه ، هاتفا :

— وواجهتها مشكلتان .. المكان والحامات .

وابتسم وكأنما نسي حقيقة موقفه ، وهو يستطرد في زلهي :
— وانتمك العلماء في أمثالهم ودراساتهم ، حتى توصلوا
إلى الحقيقة ، التي تقول إن (كبروا) هي أفضل مكان في العالم
بالنسبة لنا ، فهي واسعة ، مبسطة ، تحيط بها سلاسل جبال
قوية ، تجعل منها وكراً مناسباً مثالياً ، ثم إن أرضها تحوى كمية
هنية من اليورانيوم ، الذي نحتاج إليه .

وحارب مقعده بقبضته ، مستطرداً :

— وكان من الضروري أن نمتلك (كبروا) ، مهما كان

الظمن .

قال (أدهم) :

— حتى ولو قطن أصحاب الأرض ؟

أجابته في انفعال :

— حتى ولو أهدانا الحكومة المكسيكية نفسها .

وانجعت عيناه في جنون ، وهو يهتف :

— إنها القوة .. ألا تفهم ؟ .. القوة المطلقة .

قال (أدهم) في غضب :

— أتم مجانين .. حَقَّة من المجانين .

انطلق (توماس) بقلبه في جَنُون ، وهو يقول :

— بل نحن الأقوى يا رجل .. نحن الأعظم .

وفجأة برقت عناءه ، وهو يشير إلى بقعة من الغبار ، تقترب

من بعيد ، وقال :

— لقد وصل الرجال .

أدار (أدهم) عينه إلى حيث أشار (توماس) ، ورأى

قافلة سيارات تقترب ، فقال في حزم :

— فليأكلوا .

ثم التصق لمؤخرة سيارته برأس (توماس) ، مستطردًا :

— ما زلت أملك زعيمهم .

تولر (توماس) ، وهو يقول :

— ولكن لماذا انطلقوا خلفنا ؟

قال (أدهم) ساخراً :

— ربما يمشون لفتحك يا أمير الأحلام .

عقد (توماس) حاجبيه ، ولم يمس يديه حَقَّة ، وهو يتابع

الغراب قافلة السيارات ، في حين بقي (أدهم) هادئاً ، وهو

يتطلع إلى القافلة بذوره ، ويلصق سيارته برأس (توماس) ،

حتى اقتربت القافلة كثيراً ، فهبط (أدهم) :

— لا تقتربوا ، وألا فجَّرت رأس زعيمكم .

أدهشه أن رأى أحد الرجال يصوب إليه مدفعه ، فهبط

مستطردًا :

— إنني أحذركم .

أما (توماس) فقد شعر بكثير من الدُعر والقلق ، وهو

يتطلع إلى عيني الرجل ، الذي يصوب المدفع ، وعلمهم في

اضطراب :

— عجباً !.. ليس من المنطقي أن.....

وفجأة ، أدرك كل شيء ..

البحث الحقيقة في ذهنه بومضة خاطفة ..

ربما لأنه يدرك حقيقة المنظمة ، التي يعمل لحسابها .

يدرك قوما ..

وقسوما ..

وغدرها ..

ويكل الرعب ، صرخ (توماس) :

— لا .. لا ..

وانطلقت رصاصة الرجل ..

واختزلت رأس (توماس) ، الذي سقط جثة هامدة على
الفور ..

وهنا أدرك (أدهم) حقيقة الأمر ..

لقد سقط درعه ، وجار عليه أن يواجه جهنمًا كاملاً ..
وحده ..

[انتهى الجزء الأول بحمد الله ، ويليه الجزء الثاني]

(الأخطبوط)

مع تحيات منتدى ليلاس

رقم الإصدار : ٣٦١٩